

هذا الكتاب يُدرّس ضمن دروة تأهيل الخطباء والمصلحين والدعاة إلى الله (٣)

مِيزَانُ الْإِسْتِدْلَالِ فِي النَّعَامِلِ مَعَ النَّاسِ

قواعد في فنّ التعامل، لدفع المشاكل والخلافات، ورفعها

وكن مع الناس كالميزان معتدلاً ولا تقولنّ ذا عمي وذا خالي

تأليف

أبي فارس

عبد الرحمن بن عبد الله السقاف

المدرس بدار الحديث بالقيوش - حرسها الله -

مكتبة تراثي همامي
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع





تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

لا تحسبِ الناسَ طبْعًا واحدًا فلهم

غرائزُ لستَ تحصيها — نَّ أَلوانا

جميع حقوق الطبع والنسخ

محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) آل عمران .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) الأحزاب .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

﴿قَالَ تَعَالَى﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَإِنِّي ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ الرحمن

طبيعة الإنسان وفطرته التي فُطِرَ عليها أنه يحب أن يعامله الناس بالمعاملة الحسنة وبالاهتمام والاحترام والتقدير والحب والعطف ... إلخ .

وبالمقابل فهو فُطِرَ وطُبعَ على أن يقابل هذه المعاملة بمثلها ؛ وهذه هي القاعدة العامة في المعاملة بين الناس .

ولا يخرج عن ذلك إلا شواذ الناس ممن نُكِسَتْ فِطْرُهُمْ وتلوَّثت نفوسهم ومسخت أخلاقهم .

﴿قَالَ تَعَالَى﴾ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ البقرة

عن الأشعث بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) ^(١).

وجاء **عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً بلفظ (التحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، والجماعة بركة والفرقة عذاب) ^(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (من استعاذكم بالله فأعيزوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) ^(٣).

إن دعوة أهل السنة والجماعة دعوة عظيمة تدعو إلى صلاح المجتمعات وإصلاحها من جميع الجوانب والنواحي ... ومن ضمن جوانب الإصلاح هذه : إصلاح العلاقة بين الناس ، حتى يصلوا إلى المستوى المطلوب والمقام المرغوب الذي حثت عليه الشريعة من التراحم والتلاحم والترابط والتآلف والتآخي والتعاون والتناصر والتآزر ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُمْ فَثَارَ لَهُ فَأُغْلِقَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِمْ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢١) الفتح .

(١) رواه أحمد وأحمد ورواته ثقات وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٩٧١) .

(٢) وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير رقم (٥٣٢٥) .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير رقم (١٠٩٦٥) .

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«** مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى **»** ^(١). وجاء في مسلم أيضًا بلفظ: **«** المؤمنون كرجلٍ واحد ! إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر **»** ^(٢). وجاء في مسلم بلفظ: **«** المسلمون كرجلٍ واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله **»** ^(٣).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«** المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا **»** ^(٤).

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ربُّ الزمان صدَّعك فَرَّقَ فيك شمله ليجمعك

إن المحبة والترابط والتآلف والتآخي بين الناس لها أثرٌ عظيم في سعادة الفرد والمجتمع ؛ لذلك حصل الحث عليها والترغيب فيها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٦) **وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** **﴿ ١٦ ﴾ الأنفال .**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٣) آل عمران .

^(١) رواه مسلم (٢٥٨٦) . [ش (تداعى له سائر الجسد) أي : دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في ذلك ، ومنه قولهم : تداعت الحيطان ، أي : تساقطت أو قربت من التساقط] .

^(٢) (٢٥٨٦) .

^(٣) (٢٥٨٦) .

^(٤) رواه مسلم رقم (٢٥٨٥) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه))^(١).

○ قال شيخ الإسلام رحمه الله :

وَإِذَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَسَدُوا وَهَلَكُوا ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا صَلَحُوا وَمَلَكُوا ؛ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ^(٢).

عاشر بمعروفٍ فإنك راحلٌ واترك قلوب الناس نحوك صافية
واكتب بخطك إن أردت عبارةً لا شيء في الدنيا يساوي العافية

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) والبخاري بنحوه . [ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته] .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢١) .

أهم القضايا

التي تشغل حياة المخلوقات

أهم القضايا التي تشغل حياة المخلوقات في هذا العالم أربع :

○ الأولى : قضية الدين - وهي أهمها - .

وقد عالجتها في كتابي (أدب العبودية) وهو تحت التجهيز .

○ الثانية : قضية الأرزاق - وهي أعمها - .

وقد عالجتها في كتابي (حقائق الأرزاق) مطبوع .

○ الثالثة : قضية المصائب والبلاء - وهي أوجعها وأخوفها - .

وقد عالجتها في كتابي (الوجه المشرق للمصائب والبلاء) وهو تحت التجهيز .

○ الرابعة : قضية المشاكل والخلافات - وهي أقلقها - .

وقد عالجتها في هذا الكتاب .

ومثل هذا الكتاب المبارك يصلح أن يُدرّس ويُقرأ على الناس في المساجد والمدارس

والمحاضن العلمية والمجالس والبيوت وغيرها ؛ ليكون نبراساً للناس في حل مشاكلهم ومعالجة

خلافاتهم وإصلاح أحوالهم ومجتمعاتهم ، وتحقيق سعادتهم في حياتهم .

الناس كلهم يبحثون عن السعادة وعن الحياة الطيبة المطمئنة ، والمشاكل والخلاف والنزاعات تُعكّر

عليهم صفو حياتهم وتحرمهم الاستمتاع بالسعادة فيها ، وتسبب لهم الاضطراب والقلق ، فلا بد

من حلول مناسبة لها ! ولا يكون ذلك إلا في ضوء الكتاب والسنة وتعاليم الإسلام السّمة -

كما سيتبين لك ذلك من خلال قراءتك لهذا الكتاب - إن شاء الله - .



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

وقفة

بين تدفق المشاعر وجفافها وبين مراعاة المشاعر وجرحها

وللكثافة أقوامٌ لها خلقوا وللمحبة أكبادٌ وأجفانُ

لقد كرم الله بني آدم وجعل لهم منزلةً رفيعةً بين الخلائق قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) الإسراء.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه »** (١) . ولا بد أن نعلم أن في داخل كل إنسان شعورٌ يقول : احترمني ، قدّرني ، لا تحتقرني ... هذه الفطرة التي فُطِرَ عليها كلُّ إنسان .

وقد صار الناس يعانون كثيراً من جفاف المشاعر وجرح القلوب وقسوة الألفاظ وسوء المعاملة! سواءً بين الزوجين ، أو مع الوالدين ، أو مع الأولاد ، أو الأقارب ، أو الجيران ، أو الأصحاب والزملاء، أو مع عموم الناس ... والله المستعان .

كن بلسماً فالجارحون كثيرٌ ومواسياً إن الزمان مريرٌ
كن طيب الآثار إنك راحلٌ فلعلها يوم النشور تُجِيرُ

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) والبخاري بنحوه . [ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانتته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى ، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ ، وَلَا يُكْفَرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهِ ، بَلْ هُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ وَأَرْحَمُ بِالْخَلْقِ ، كَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ ^(١) . وَأَهْلُ السُّنَّةِ نَقَاوَةُ الْمُسْلِمِينَ ، فَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ^(٢) .

فمراعاة مشاعر الناس له أثرٌ إيجابي عظيمٌ على الناس وشعورهم بالراحة والطمأنينة والسعادة .
كما أن جفاف المشاعر له أثرٌ سلبي عظيمٌ على الناس وشعورهم بالضيق والقلق والتعاسة .

وبعضُ الحروفِ كضغَطِ الزناد تصيبُ القلوبَ وتُدمي المقلَّ
وبعضُ الحروفِ كشرِّ الدواء تداوي الجروحَ وتُشفي العللَ

وللبیان ... فهذه بعض الأمثلة على ذلك :

كم يفرح الشخص إذا لقي أخاه المسلم فإذا به يبادره بالسلام ويسابقه إليه ويظهر له الودَّ والاحترام ... لذلك يقول عز وجل ﴿ وَإِذَا حُجِّيتُمْ بِنَجِيتٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ ^(٣) النساء .

ويقول عليه الصلاة والسلام : ^(٤) « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ^(٥) .

(١) وَرَدَ هَذَا الْأَثَرُ فِي : الْبُخَارِيِّ ٣٧/٦ - ٣٨ كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، بَابُ { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } وَنَصَّهُ فِيهِ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ قَالَ : خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنْظُرْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ لِآيَةِ ٧٧/٢ ط . دَارُ الشَّعْبِ .

(٢) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٥٨) .

(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم رقم (٥٤) . [ش (ولا تؤمنوا) بحذف النون من آخره لغير ناصب ولا جازم وهي لغة معروفة صحيحة ، وأما معنى الحديث فقولُه صلى الله عليه وسلم ولا تؤمنوا حتى تحابوا معناه : لا يكمل ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب (أفشوا السلام بينكم) فيه الحث العظيم على إفشاء السلام ، وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف] .

وعن ابن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَيْسَ حَالِقَةُ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَتُومِنُوا ، وَلَا تَتُومِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يَثْبِتُ لَكُمْ ذَلِكَ : أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »** .^(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **« حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ : رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَاجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ »** .^(٢)

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : **« أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ ، أَمَرَنَا : بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاجَابَةِ الدَّاعِي وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ وَرَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ... »** .^(٣)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمْدُ اللَّهِ فَسَمِّهِ ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ »** .^(٤)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ »** .^(٥)

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمُ بِالسَّلَامِ »** . أي أولى برحمته تعالى والقرب منه في جنته .

(١) رواه البزار بإسناد جيد . وحسنه غيره الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٩٥) .

(٢) رواه البخاري رقم (١١٨٣) ومسلم (٢١٦٢) .

(٣) رواه البخاري رقم (١١٨٢) .

(٤) رواه مسلم (٢١٦٢) . [ش (فسمته) تشميت العاطس أن يقول له يرحمك الله ، ويقال بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان ، قال الأزهرى : قال الليث : التشميت ذكر الله تعالى على كل شيء ، ومنه قوله للعاطس يرحمك الله ، قال ثعلب يقال : سمت العاطس وشتمه ، إذا دعوت له بالهدى وقصد السم المستقيم ، قال والأصل فيه السين المهملة فقلبت شيئاً معجمة ، وقال صاحب المحكم تشميت العاطس معناه هداك الله إلى السم] .

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

رواه أبو داود والترمذي وحسنه ولفظه قيل : يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال : **« أولاهما بالله تعالى »** .^(١)

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم ، فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقوم فسلم عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام ، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم »** .^(٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« أعجز الناس من عجز في الدعاء ، وأبجل الناس من بجل بالسلام »** .^(٣)

○ ففي هذه الأحاديث بيانٌ عظيم لمراعاة مشاعر الآخرين :

- ١- تسلم عليه . ٢- تجيب دعوته . ٣- تنصحه له . ٤- تزوره إذا مرض .
- ٥- تشمته إذا عطس . ٦- تنصره إذا ظلم . ٧- وتثير قسمه .
- ٨- وتتبع جنازته بعد موته مراعاةً لمشاعر أقاربه .

ولك أن تستشعر كيف يكون دفء المشاعر في هذه الخصال والعمل بها والمحافظة عليها ... وكذلك كيف يكون جفاف المشاعر وجرحها في إهمال التعامل بهذه الخصال وعدم الاهتمام بها ، والرعاية لها ...

وكيف يكون أثر ذلك على سعادة الفرد والمجتمع والعالم أجمع ...

(١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٧٠٣) . أي أقربهم من الله بالطاعة .

(٢) رواه البزار والطبراني وأحد إسناده البزار جيد قوي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٠٥) .

(٣) قال الألباني حسن صحيح . رواه الطبراني في الأوسط وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد قال الحافظ وهو إسناد جيد قوي صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٤) .

وفي المقابل نهانا النبي ﷺ عن :

الحسد والتناجش والتباغض والتدابير والبيع على بيع بعض والظلم والخذلان والاحتقار والتعدي على حقوق الآخرين .

وذلك لما لها من الأثر السيئ على حياة الفرد والمجتمع والعالم أجمع ، ولما فيها من الأثر العميق في جرح مشاعر الناس وأحاسيسهم والتضييق على نفسياتهم ونزع السعادة من حياتهم .

- أخي العزيز :

كم هو رائع عندما تجد أخاك المسلم وتضع يدك في يده وتتصافحا بحنانٍ وحرارة تصل من اليدين إلى القلب ؛ تدل على متانة الروابط بينكما وعلى الألفة في قلبكما :

وانظر في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **« ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا »**.^(١)

وحديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : **« إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه ، وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر »**.^(٢)

○ **كم يسعد** الإنسان عندما يلقي إخوانه بعد غيبةٍ وسفر وفراقٍ وبعْدٍ فيبادرونه وقت التلاقي فيسلمون عليه ويأخذونه بالعناق :

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا.^(٣)

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٨) .

(٢) صححه الألباني لغيره وقال رواه الطبراني في الأوسط ورواته لا أعلم فيهم مجروحاً صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٢٠) .

(٣) حسنه الألباني وقال رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح . صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٩) .

وتنبه لهذا الترتيب : سلام - صفاح - عناق . على قدر البُعد والغيبة والشوق والمحبة يكون التعامل عند اللقاء ويكون التعبير والتعابير بالملامح والجوارح .

وهذه الأعمال جُعِلَ لها هذا الأجر العظيم لما لها من أثرٍ عظيمٍ ودورٍ كبيرٍ في تأليف القلوب وغرس المحبة وإسعاد النفوس وتقوية النسيج الاجتماعي .

○ **شعورٌ لا يوصف** ولحظاتٌ تعصف ، والقلب لها يرتجف عندما يلقي المسلم إخوانه فيرى

في نظراتهم ويلاحظ في حركاتهم !!! بل ويسمع من كلماتهم : أنهم يحبونه ! .

ولأثر المحبة العظيم في تقوية الأمة جعلها الله عبادة وقربة ! بل هي أوثق عرى الإيمان :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : **"أي عرى الإيمان أوثق ؟"** قال : الله ورسوله أعلم ؟ قال : **"أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله"** .^(١)

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان : حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى أن يقذف في النار أحبَّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكونَ الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما"** .^(٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال هل لك عليه من نعمة تربُّها ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز و جل ، قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه"** .^(٣)

(١) أخرجه الطبراني في " المعجم الكبير " (١١٥٣٧) وحسنه الألباني بمجموع الطرق . السلسلة الصحيحة (٩٩٨) .

(٢) رواه البخاري (٥٦٩٤) .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٥٦٧) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حبًّا لصاحبه »**.^(١)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **« سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمامٌ عدل ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد ، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال ! فقال : إني أخاف الله ، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »**.^(٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« إن من عباد الله عبادةً ليسوا بأنبياء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم ؟ لعننا نحبهم ، قال هم قوم تحابوا بنور الله ، من غير أرحامٍ ولا أنساب ، وجوهم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ : { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } »**.^(٣)

عن المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **« إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »**.^(٤)

وعن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **« أن رجلاً كان عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمر به رجلٌ فقال يا رسول الله إني لأحب هذا . فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمته ؟ قال : لا . قال : أعلمه . قال فلحقه فقال : إني أحبك في الله . فقال : أحبك الذي أحببتي له »**.^(٥)

(١) قال الألباني حسن صحيح . رواه الطبراني وأبو يعلى ورواته رواية الصحيح إلا مبارك بن فضالة ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم إلا أنهما قالوا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه وقال الحاكم صحيح الإسناد . صحيح الترغيب والترهيب (٣٠١٤) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٧٥) ومسلم (١٠٣١) .

(٣) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه . وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٣) .

(٤) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥١٥) .

(٥) رواه أبو داود وحسنه الألباني ، المشكاة (٥٠١٧) ، الصحيحة (٣٢٥٣) .

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ : سَمِعْتُ **ابْنَ عُمَرَ** يَقُولُ : بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ وَلَّى عَنْهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ هَذَا لِلَّهِ ، قَالَ : (فَهَلْ أَعْلَمْتُهُ ذَاكَ؟) قُلْتُ : لَا قَالَ : (فَأَعْلِمْ ذَاكَ أَخَاكَ) قَالَ : فَاتَّبَعْتُهُ فَأَدْرَكْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِلَّهِ ، قَالَ هُوَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِلَّهِ ، قُلْتُ : لَوْلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكَ لَمْ أَفْعَل .^(١)

وَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ : قُلْتُ **لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِغَيْرِ دُنْيَا أَرْجُو أَنْ أُصِيبَهَا مِنْكَ وَلَا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ؟ قُلْتُ : لِلَّهِ . قَالَ : فَجَذَبَ حُبُوتِي ثُمَّ قَالَ : أَبْشِرْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ! فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
(الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ يَغِيظُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ) .
ثُمَّ قَالَ : فَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ مُعَاذٍ فَقَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (حُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغِيظُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالصَّدِيقُونَ بِمَكَانِهِمْ) .^(٢)

فانظر إلى هذه الصفات الفاضلة والأخلاق الطيبة والأعمال الجميلة التي يحب الله أصحابها .

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِ مُعَاذٍ فَقَالَ : (يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ) فَقَالَ مُعَاذٌ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ ، فَقَالَ : (يَا مُعَاذُ أَوْصِيكَ أَنْ لَا تَدْعَنِّي فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) .^(٣)

(١) صحيح ابن حبان (٥٢/٢) (٥٦٨) وقال الألباني حسن صحيح . انظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان والصحيحة (٣٢٥٣) .

(٢) صحيح ابن حبان (٥٧/٢) (٥٦٧) . وصححه المحدث الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥٧/٢) (٥٦٧) والتعليق الرغيب (٤٧/٤) .

(٣) صحيح ابن حبان (٤٣١/٣) (٢٠٠١٧) وصححه الألباني في التعليقات الحسان وصحيح أبي داود (١٣٦٢) .

يظهر صدق المحبة في التعامل والنظرات والكلمات والاهتمام والتعاون والوقوف في وقت الأزمات ... إلخ ... فعند المواقف تظهر الحقائق .

جزى الله الشدائد كل خير وإن كانت تُعَصِّصُنِي بريقي
وما شكري لها حُبًّا ولكن عرفتُ بها عدوي من صديقي

○ كم هو جميل عندما تجد الصغير يحترم الكبير والكبير يرحم الصغير ويعطف عليه :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا » .^(١)

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ليس من أمتي من لم يحلَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعلمنا » .^(٢)

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » .^(٣)

فالإنسان يفرح إذا وجد شخصاً يحترمه ويقدره ويعرف له مكانته ومنزلة ... فاعرفوا للناس أقدارهم وقدرؤهم ... ومن لا يعرف أقدار الرجال لا يستحق أن يكتب في ديوان الرجال .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الحشر .

(١) قال الألباني حسن صحيح رواه الترمذي وأبو داود إلا أنه قال ويعرف حق كبيرنا . صحيح الترغيب والترهيب (١٠٣) .

(٢) رواه أحمد وأحمد بإسناد حسن والطبراني والحاكم إلا أنه قال ليس منا . وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠١) .

(٣) رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨) .

○ **كم يرتاح** الإنسان إذا نزل ضيفاً على شخص فوجد منه الكرم والإكرام المادي والمعنوي!

وإكرام الضيف من صفات العرب الكريمة التي حث عليها الإسلام ورغبَ فيها :

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »**.^(١)

○ **كم يفرح** الإنسان عندما يلتقي بأخيه فيقابله بالابتسامة ... فكم تحمل هذه

الابتسامة من معاني ، وكم تريح القلوب ، وكم تدل على رُقيٍّ في الأخلاق !!! .

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »**.^(٢)

وعن أبي جري الهجيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلت يا رسول الله

إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَعَلِمْنَا شَيْئاً يَنْفَعُنَا اللَّهُ بِهِ فَقَالَ : **« لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة ، ولا يحبها الله ، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فإن أجره لك ووباله على من قاله »**.^(٣)

وفي رواية النسائي قال : **« لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً أن تأتيه ولو أن تهب صلة الحبل ،**

ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تلقى أخاك المسلم ووجهك بسطٌ إليه ، ولو أن تونس الوحشان بنفسك ، ولو أن تهب الشسع ».^(٤)

(١) البخاري (٥٧٨٧) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦) . [ش (طلق) روي طلق على ثلاثة أوجه إسكان اللام وكسرها وطلب وفتح ومعناه سهل منبسط] .

(٣) قال الألباني (صحيح لغيره) في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٨٧) وقال : رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي مفرقا وابن حبان في صحيحه واللفظ له وفي رواية للنسائي .

(٤) هذه رواية النسائي .

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : **« تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإمادتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة »**^(١).

○ **كم يفرح** الشخص إذا خاطبته بكلمة طيبة تدل على التقدير والاحترام ...

عن أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة : **« قال طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام »**^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **« والكلمة الطيبة صدقة »**^(٣).
فالكلمات الطيبة والحنونة لها وقعٌ جميلٌ في النفوس ، وأثرٌ عظيمٌ على المشاعر والأحاسيس ، وهي نجاةٌ من النار .

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : **« اتقوا النار ولو بشقِّ تمر ، فمن لم يجد شقِّ تمر فبكلمة طيبة »**^(٤).

○ **كم يفرح** الشخص إذا قدمت له معروفاً وأحسنتم إليه في حاجته ...

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : **« كل معروف صدقة »**^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤ / ١) والسياق له ، والبخاري في " الأدب المفرد " (١٢٨) وابن حبان (٨٦٤) . وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٢) .

(٢) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه في حديث والحاكم وصححه . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٩٩) .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٧٣٤) ومسلم (١٠٠٩) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٤٠٠) ومسلم (١٠١٦) .

(٥) رواه البخاري رقم (٥٦٧٥) . [ش (معروف) اسمٌ جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه وكل ما ندب إليه الشرع من وجوه الإحسان وترك ما نهى عنه من القبائح (صدقة) له أجر صدقة] .

○ **كم يفرح** الشخص إذا شكرته على معروفٍ قدّمه لك ولم تنس إحسانه إليك ...

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : **« من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا ، فقد أبلغ في الشاء »** .
وفي رواية : **« من أولي معروفًا أو أسدي إليه معروف فقال للذي أسداه جزاك الله خيرًا ، فقد أبلغ في الشاء »** ^(١) .

○ **كم يفرح الشخص إذا أعتته** على أمرٍ من أمور الدين أو الدنيا وكشفت عنه غمه وفرجت همه وسعيت في مصلحته وسرت في منفعته ...

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : **« أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينًا ، أو يطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني : مسجد المدينة) شهرًا ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيا له ؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام (وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) »** ^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : **« من نفس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله »**

^(١) قال الألباني : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب . قال الحافظ وقد أسقط من بعض نسخ الترمذي . صحيح الترغيب والترهيب . (٩٦٩) .

^(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني في السلسلة رقم (٩٠٦) .

عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ... (١).

فانظر إلى هذه الأعمال العظيمة وانظر إلى أثرها في نفوس الناس وعلى حياتهم .
وانظر إلى أثر عكسها وأضدادها على النفوس والمشاعر والحياة .

○ **وانظر إلى الهدية** وأثرها على النفوس ، وزرعها للود والمحبة في القلوب ...

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال (" تهادوا تحابوا ") (٢).
وعن أنس قال : " يا بني ! تبادلوا بينكم ؛ فإنه أودُّ لما بينكم " (٣).

○ **الاعتذار** خلق رفيع يجبر الكسر ، ويمحو الجروح ، ويطيب النفس ، ويدل على تواضع

الإنسان ، وحرصه على إخوانه ورغبته في بقاء حبال التواصل معهم ...

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ :

قيل لي قد أساء إليك فلان ومقام الفتى على الظلم عار

قلت قد جاءني وأحدث عذراً دية الذنب عندنا الاعتذار

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (" من أقال مسلماً بيعته أقاله الله

عثرته يوم القيامة ") . وفي رواية لابن حبان (" من أقال مسلماً عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة ") (٤).

هني أسأت كما زعمت فأين عاطفة الأخوة

أو إن أسأت كما أسأت فأين فضلك والمروة

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

(٢) صحيح الأدب المفرد (٥٩٤/٤٦٣) وحسنه الألباني .

(٣) صحيح الأدب المفرد ٥٩٥/٤٦٤ وقال الألباني : (صحيح الإسناد) .

(٤) (صحيح) صححه الألباني وقال : رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

صحيح الترغيب والترهيب (١٧٥٨) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّهُ بِعَصِ الظَّنِّ إِنَّهُ لَا يَجْسُؤُوا وَلَا يَجْسُؤُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ الحجرات.

○ وأرفع منه أن تدافع عن أخيك المسلم وتدفع عن عرضه في غيبته :

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) من ذبَّ عن عِرْض أخيه بالغيبة ؛ كان حقاً على الله أن يعتقه من النار ^(٢) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ^(١) مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْض أَخِيهِ ؛ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٢) .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ عَرْضُهُ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ » .^(٢)

○ **كم هو جميل** أن تجد من يفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويهتم بك وبأمرك وبما يحصل لك.

هموم رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ وهمّي من الدنيا صديقٌ مساعد
نكون كروح بين جسمين فُتِّمَت فجسماهما جسمان ، والروح واحد

(١) رواه أحمد بإسناد حسن، وابن أبي الدنيا والطبراني، وغيرهم. وقال الألباني صحيح لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٧).

٢) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن". وقال الألباني: صحيح لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب (٨٢/٣) (٢٨٤٨).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مَشْكَاةَ الْمَصَابِيحِ (١٣٩٠/٣) (٤٩٨٣).

○ أخي الكريم : قبل كل شيء أحسن التعامل مع ربك سبحانه وتعالى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٧) الزمر .

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " قال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " . (١)

وإذا أردت أن يكون الله معك كما تحب فكن أنت معه كما يحب .

○ أظهر الحب لوالديك ولزوجتك ولأبنائك ولأقاربك وجيرانك وأصحابك ... ولا تظن أن هذا ضعف وخور !!! لا ... إنه رُقِيَّ في التعامل ودليل على صفاء القلب وسمو النفس وسلامة الصدر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفِي وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) والإسراء .

وَأَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا (٢٤) .

فكن باراً بوالديك عارفاً لحقهما قائماً بواجبهما خافضاً جناحك لهما ... فإن من أعظم الأعمال وأحبها إلى الله بر الوالدين .

ومن أعظم أسباب دخول الجنة بر الوالدين فاخفض جناحك لهما ، ولا تنس فضلها ، وأكثر الدعاء لهما ، والتصدق عنهما .

○ أحسن التعامل مع أبنائك فلذات كبذك :

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي عَلَى الرَّأْسِ شَرٌّ مِنَ النِّسَاءِ : ١١﴾ النساء :

(١) رواه البخاري (٤٥٤٩) ومسلم (٢٢٤٦) . (يؤذيني) ينسب إلي ما من شأنه أن يؤذي ويسيء . (يسب الدهر) يسب ما يصيبه فيه من أمور وأنا المدبر لكل ما يحصل لكم وتنسبونه إلى الدهر فإذا سببتم الدهر لما يجري فيه كان السب في الحقيقة لي لأنني أنا المدبر المتصرف والأمر كله بيدي أي يارادتي وقدرتي . (أقلب ..) أصرفهما وما يجري فيها والله تعالى أعلم [.

ومن المحبة والرحمة تقبيل الأولاد ، وإدخال الأنس والسرور عليهم واللعب معهم ...

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ((قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ (مِنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ)))^(١).

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : جَاءَ أَعرَابِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ ؟ فَمَا تَقْبَلُهُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ))^(٢).

وعن عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ : يَا بَنِي ، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَا شَبِيهٌ بَعِيٍّ " وَعَلَيَّ يَضْحَكُ^(٣) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ ، فَأَنْصَرَفَ فَأَنْصَرَفْتُ ، فَقَالَ : « أَيْنَ لُكْعُ - ثَلَاثًا - ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ » . فَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السَّخَابُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ هَكَذَا ، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا ، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ » وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ^(٤) .

وعن خالد بن سعيد ، عَنْ أَبِيهِ ، **عَنْ أُمِّ خَالِدٍ** بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَنَهُ سَنَهُ » قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ : حَسَنَةٌ ، قَالَتْ : فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتِمِ الثُّبَوَةِ فَوَزَّرَنِي أَبِي ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) رواه البخاري (٥٦٥١) ومسلم (٢٣١٨) .

(٢) رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٣١٧) .

(٣) صحيح البخاري (١٨٧ / ٤) (٣٥٤٢) .

(٤) صحيح البخاري (١٥٩ / ٧) (٥٨٨٤) . [ش (لكع) هو كناية عن الصغير والمراد الحسن رضي الله عنه . (فقال ... بيده) أشار . (فالتزمه) ضمه بين يديه إلى صدره] . (السخاب) خيط ينظم به الخرز ويلبس وقيل قلادة تتخذ من قرنفل وطيب ونحوه .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دَعَهَا » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَبِيلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبِيلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبِيلِي وَأَخْلِقِي » قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَبِيتُ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِنْ بَقَائِهَا.^(١)

وَقَالَ ثَابِتٌ: **عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: « أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ».^(٢)

وعن **أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: « خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا ».^(٣)

وَعَنْ **أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَى ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا ».^(٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ فَيَرَى الصَّيِّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ فَيَهْشُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ: أَلَا أَرَاهُ يَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَكُونُ لِي الْوَلَدُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبَّلْتُهُ قَطُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ».^(٥)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَثْبَانِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيُبَاعِدُهُمَا النَّاسُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دَعُوهُمَا - بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي - مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبْ هَذَيْنِ ».^(٦)

(١) صحيح البخاري (٥٩٩٣).

(٢) صحيح البخاري (٧/٨).

(٣) صحيح البخاري (٥٩٩٦).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٠٣).

(٥) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩٨/١٠) (٦٩٣٦) وحسنه الألباني وقال: ومن طريقه: أخرجه أبو الشيخ في ((أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم -)) (ص ٧٨)؛ دون قول عيينة إلخ. وإسناده حسن؛ للخلاف المعروف في محمد بن عمرو - وهو ابن علقمة الليثي - . ووقع عنده: الحسن، مكان: الحسين، ولعله الصواب؛ فإنه كذلك في ((الموارد)) (٢٢٣٦)، وفي قصة أخرى تشبه هذه من رواية الشيخين، وقد تقدمت (٤٥٨).

(٦) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩٥/١٠) (٦٩٣١). وحسنه الألباني ((الصحيحة)) (٤٠٠٢) وقال: وعنه أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/٩٥/١٢٢٢٣)، وإسناده حسن.

○ ومع الزوجة يحتاج الشخص أن يحنَّ إليها ويعطف عليها ويحبها ويعاشرها بالمعروف :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

النساء . ﴿١٩﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الروم.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦ / ٣٠٩) : (وجعل بينهم وبينهن مودة : وهي المحبة ، ورحمة :

وهي الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتة لها ، أو لرحمة بها ، بأن يكون لها منه ولد ، أو محتاجة إليه في الإنفاق ، أو للألفة بينهما ، وغير ذلك ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ » .^(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ : فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي قَالَ : « هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَقَةِ » .^(٢)

وَعَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : حِضْتُ وَأَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَمِيلَةِ ، فَأَنْسَلْتُ فَخَرَجْتُ مِنْهَا ، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِضَّتِي فَلَبِسْتُهَا ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْفِسْتِ » قُلْتُ : نَعَمْ ، فَدَعَانِي ، فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ فِي الْحَمِيلَةِ .

قَالَتْ : وَحَدَّثَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَانَ يُقْبِلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ » .

« وَكُنْتُ أَعْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَنَابَةِ » .^(٣)

(١) صحيح البخاري (٢١ / ١) (٥٦) .

(٢) مشكاة المصابيح (٩٧١ / ٢) (٣٢٥١) رواه أبو داود وصححه الألباني .

(٣) صحيح البخاري (٣٢٢) .

وعن إبراهيم الأسود قال : سألت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : ما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع في بيته؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة .^(١)

وعن عروة قال : سألت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: "يُخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ" . (وفي رواية قَالَتْ : "مَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ؛ يَخْصُصُ النَعْلَ، وَيَرْقِعُ الثَّوبَ، وَيَخِيطُ") .^(٢)

○ أيتها الإخوة الكرام : ارفقوا بالنساء وأظهروا لهن الحب والوفاء ! فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتُهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » .^(٣)

○ وأحسن المعاملة مع أرحامك :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) النساء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٥) الأنفال .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٣٢) أولئك الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْنَهُمْ وَأَعَمَّ أَبْصَرَهُمْ (٣٣) محمد .

(١) رواه البخاري (٦٧٦) قال ابن حجر : والمراد بالأهل نفسه، أو ما هو أعم من ذلك . وقد وقع مُفسَّرًا في الشرائع للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ: ما كان إلا بشرًا من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه . فتح الباري (شرح حديث (٦٧٦) .

(٢) صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٠٤) ٥٣٩/٤١٩ (صححه الألباني) .

(٣) صحيح البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) . ش (استوصوا بالنساء) تواصلوا فيما بينكم بالإحسان إليهن.

○ وأحسن المعاملة مع أقاربك وأصحابك وجيرانك :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١٣٩) النساء .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قُرَادٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ يَوْمًا فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَتَمَسَّحُونَ بِوَضُوءِهِ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَىٰ هَذَا ؟ » قَالُوا : حَبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أَوْ يَحِبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَلْيُصَدِّقْ حَدِيثَهُ إِذَا حَدَّثَ، وَلْيُوَدِّدْ أَمَانَتَهُ إِذَا أُوثِنَ ، وَلْيُحْسِنَ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَهُ »^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ »^(٢).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ أَوْ إِذَا أَسَأْتُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ : قَدْ أَحْسَنْتَ ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ . وَإِذَا سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : قَدْ أَسَأْتُ ، فَقَدْ أَسَأْتُ »^(٣).

○ وأحسن المعاملة مع الناس جميعاً :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة : ٨٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥) البقرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (٦٠) الرحمن .

(١) حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩١) (٤٩٩٠).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٠) (٤٩٨٧) .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَصَحَّحَهُ الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٠) (٤٩٨٨) .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإنسان إحسان
أحسن إذا كان إمكانٌ ومقدرةً فلن يدوم على الإحسان إنسان

○ أحسن إلى جميع من حولك ، وجميع من تعيش معهم وتخالطهم ؛ لتسعد ، وتُسعد ، وتنفع
وتنتفع ، وتستريح وتستراح معك ومنك ... فكلنا إخوة في هذا الدين العظيم ... فخذ الحق
الذي لك ، وأد الحق الذي عليك .

إن يفترق ماء الوصالِ فماؤنا عذبٌ تحدَّرَ من غمامٍ واحد
أو يفترق نسبٌ يؤلَّف بيننا دينٌ أقمنَاهُ مقامَ الوالد

واحدروا أخوتي في الله من كل ما يجرح المشاعر والأحاسيس ، ويسيء إلى الآخرين ، ويُغصّ
عليهم عيشهم وحياتهم ، ويدخل الهم والغم والحزن عليهم ... وارفقوا بقلوب إخوانكم ، والتمسوا
لهم الأعذار والمعاذير ، وأحسنوا الظن فيهم ... ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، واحفظوا للمودة
حقّها ، ولا تنسوا الفضل بينكم .

ليس الكريم الذي إن زلَّ صاحبه بَثَّ الذي كان من أخباره عِلْمًا
إن الكريم الذي تبقى مودته ويحفظ السر إن صافا وإن صرّما

أخي القارئ الكريم : الجفاء الظاهر من بعض المنتسبين للدين ، أو ما يحصل من سوء أخلاقهم
وتعاملهم مع الآخرين ... إنما يمثل نفسه بذلك ، ويعبّر عن شعوره ، ويتعامل بأخلاقه ... ولا
ينسب للدين ، فالدين بريء من كل خُلُقٍ سيِّئٍ وردي .

والناس أجناس والطبائع مختلفة والأخلاق ألوانٌ متعددة .

الناس شتّى إذا ما أنت ذُقْتُهُم لا يستونون كما لا يستوي الشجرُ
هذا له ثمرٌ حلّو مذاقته وذاك ليس له طعمٌ ولا ثمرُ

إن جفاف المشاعر والعدوانية على حقوق الآخرين ، وعدم المبالاة بهم في حال التعامل معهم، يدل على ضعف الإيمان وأمراض في القلب . والعكس يدل على العكس .
عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ^(١).

ومن حرم الرفق فقد حرم الخير كله .
عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » ^(٢).
وعَنْ جَبْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ ، يُحْرِمِ الْخَيْرَ » ^(٣).

أحسن التعامل مع الجميع حتى مع الحيوانات والطيور وسائر المخلوقات ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١١٥) البقرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١١٥) هود

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٦١) العنكبوت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٨) الأعراف .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَكُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢٤) الزمر .

فنحتاج جميعاً أن نغيّر في أسلوب حياتنا إلى الأحسن ، ونغيّر تعاملنا مع من حولنا إلى الأفضل ... والضابط والمقياس في كل ذلك الشرع ... والذي كان يتمثلهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته ... قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ^(٢١) الأحزاب .

(١) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) . (لا يؤمن أحدكم) الإيمان الكامل .

(٢) صحيح البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥) .

(٣) صحيح مسلم (٢٥٩٢) .

تمهيد

إن المتابع والناظر في واقعنا اليوم في كثير من البلاد الإسلامية يرى أننا نعاني من أزمة أخلاق في التعامل فيما بيننا ! وهي من أكبر الأزمات التي نعاني منها في مجتمعاتنا ويعاني منها العالم أجمع ، وهي من أعظم الأسباب في حصول المشاكل والخلافات والنزاعات بين الناس ، والتي ضيّقت عليهم حياتهم ، وعكّرت عليهم معاشهم ، وفرّقت جمعهم ، وشتت شملهم ، وأضعفت قواهم .

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيقُ

ولذلك حرص الإسلام على تقوية النسيج الاجتماعي فحث على ذلك ورغب فيه وبينه أحسن بيان قَالَ تَعَالَى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ الفتح .

وهناك روابط تقوي هذا النسيج الاجتماعي :

أعظمها رابطة الأخوة الإسلامية : قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات.

ورابطة النسب . ورابطة العشيرة . ورابطة الصهارة . ورابطة الرضاع . ورابطة الولاء .
ورابطة الجوار . ورابطة الزمالة .

فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »^(١).

وعن أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »^(٢).

إن المحبة والترابط والتآلف والتآخي بين الناس له أثر عظيم في سعادة الفرد والمجتمع والأمة أجمع لذلك امتن الله بها على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢) وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ الأنفال .

وأمر الله بها المسلمون جميعاً قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣) آل عمران .

• حصول الخطأ والخلاف :

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ هود.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٥٨٦) . [ش (تداعى له سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٨٥) .

(٣) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣ / ٢١٦) (٣١٣٩) . وقال : رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم؛ كلهم من رواية علي بن مسعدة، وقال الترمذي : " حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة " . وقال الحاكم : " صحيح الإسناد " .

فالخطأ حاصلٌ من الناس والخلاف واقعٌ فيهم وبينهم ومنهم ! ولله في ذلك حكمٌ كثيرةٌ منها ما نعلمها ومنها ما لا نعلمها ، والمهم كيف نعالج الخطأ ونسلم من الخلاف ونقضي على آثارهما في المجتمع .

سامح أخاك إن خلط منه الإساءة والغلط
واعلم بأنك إن أردت مُبرراً رُمْتَ الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

لا بد أن نعلم أن الله يبتلي العباد بعضهم ببعض ليرى صبرهم وتحملهم ...
فلا بد من الصبر حتى ننال الأجر ونسلم من الفتن قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ الفرقان .

فلا بد أن تتسع صدورنا وعقولنا لاختلاف وجهات نظرنا في الأمور التي يصوغ الخلاف فيها شرعاً ، ويتسع العمل فيها للجميع ، ولا نضيق على بعضنا البعض ونحجّر ما كان واسعاً .
وكما أنك تحترم الخلاف السائغ فعليك أن تحترم المخالف في ذلك ، ولا يحملك الخلاف على الإساءة للطرف الآخر .

قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ - : " وَإِذَا اتَّسَعَتِ الْعُقُولُ وَتَصَوَّرَاتُهَا ، اتَّسَعَتْ عِبَارَاتُهَا ، وَإِذَا ضَاقَتِ الْعُقُولُ وَالْعِبَارَاتُ وَالتَّصَوُّرَاتُ بَقِيَ صَاحِبُهَا كَأَنَّهُ مُحْبَسُ الْعَقْلِ وَاللِّسَانِ " .^(١)

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ١٥٨) .

الجزء الأول

قواعد في فن التعامل

لدفع المشاكل والخلافات قبل وقوعها

قواعد في فن التعامل

لدفع المشاكل والخلافات قبل وقوعها

هناك أسبابٌ ووسائل وقواعد تستخدم لدفع المشاكل ، وعَلِقَ أبوابها وسدَّ ذرائعها ، حتى لا تحدث ، فإذا حدثت فإنها تحتاج إلى أسبابٍ وطُرقٍ وقواعدٍ وضوابطٍ لحلّها وعلاجها ورفعها .
والدفع أسهل من الرفع ، والوقاية خيرٌ من العلاج .

○ مراتب معاملة الإنسان لغيره في الطرف (الإيجابي) :

- عامل الناس كما يعاملوك - وهذه مرتبة المشاحة والمحاققة - .
- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك - وهذه مرتبة العدل والإنصاف - .
- عامل الناس بأفضل مما يعاملوك - وهذه مرتبة الفضل والبذل - .
- عامل الناس كما أمرك الله - وهذه مرتبة الفرض والمستحب - .
- عامل الناس كما تحب أن يعاملك الله - وهذه مرتبة الرغبة والمراقبة - .

○ وفي الطرف الآخر (السلبي) :

- معاملة الناس بأقل مما يستحقُّونه - وهذه مرتبة الهضم - .
 - معاملة الناس بما لا ترضاه لنفسك - وهذه مرتبة اللُّؤم - .
 - معاملة الناس باحتقار وازدراء - وهذه مرتبة الكبر - .
 - معاملة الناس بعدوانية - وهذه مرتبة الجُرم والظلم - .
 - معاملة الناس على قدر المصلحة - وهذه هي المعاملة التجارية والنفاق السياسي - .
- ضابط المعاملة مع الناس يرجع إلى الشرع وإلى العرف المستقيم ؛ عرف الكرام لا عرف اللئام ! .
من أحسن هذه المعاملة سيعيش في راحة عظيمة وانشراح صدر - مهما كانت ردود أفعال الآخرين تجاهه - .

أكرم الناس يكرموك ، واحترمهم يحترموك ، وأحبهم يحبوك ، فكن مستريحًا ومستراحًا منه .

واليك أخي القارئ الكريم :

بعض هذه القواعد التي نحتاجها لدفع المشاكل والخلافات قبل وقوعها :

القاعدة الأولى :

احترم الآخرين ولا تجرح مشاعرهم

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا »^(١).

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا »^(٢).

فالإنسان يفرح إذا وجد شخصاً يحترمه ويقدره ويعرف له مكانته ومنزلة ، فأنزلوا الناس منازلهم ، ولا تجرحوا مشاعرهم ، فإنَّ عدم احترام الآخرين أو جرح مشاعرهم يفتح أبواب المشاكل والخلافات ... احترم مُحترم .

وعن أبي الحسن المدائني قال : خطب زياد ، ذات يوم على منبر الكوفة فقال : « أيها الناس ، إني بُتُّ ليلتي هذه مُهْتَمًّا بخلالٍ ثلاث ، بذى العلم ، وبذى الشرف ، وبذى السن ، رأيت أن أتقدم إليكم فيهنَّ بالنصيحة ، رأيت إعظام ذوى الشرف ، وإجلال ذوى العلم ، وتوقير ذوى الأسنان ، والله لا أوتى برجلٍ ردَّ على ذى علمٍ ؛ ليضع بذلك منه إلا عاقبته ، ولا أوتى برجلٍ رد على ذى شرفٍ ليضع بذلك من شرفه إلا عاقبته ، ولا أوتى برجلٍ رد على ذى شيبَةٍ ؛ ليضعه بذلك إلا عاقبته ، إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوى أسنانهم ، وروي^(٣) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا » يعني حقه^(٤).

(١) قال الألباني حسن صحيح ، رواه الترمذي وأبو داود إلا أنه قال ويعرف حق كبيرنا . صحيح الترغيب والترهيب (١٠٣).

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني والحاكم إلا أنه قال ليس منا . وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠١).

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني والحاكم إلا أنه قال ليس منا . وحسنه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٠١).

(٤) جامع العلم وفضله (١ / ٢٢٨).

حتى في حال بذل النصيحة لا بد من احترام الناس ومراعاة مشاعرهم :

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا رَأَيْتُ عَلَى رَجُلٍ خَطَأً، إِلَّا سَتَرْتُهُ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُزَيِّنَ أَمْرَهُ، وَمَا اسْتَقْبَلْتُ رَجُلًا فِي وَجْهِهِ بِأَمْرٍ يَكْرَهُهُ، وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَإِنْ قَبِلَ ذَلِكَ، وَإِلَّا تَرَكْتُهُ.^(١)

عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَمْرَهُ فِي سِتْرٍ وَنَهَاةٍ فِي سِتْرٍ، فَيُؤْجِرُ فِي سِتْرِهِ وَيُؤْجِرُ فِي نَهْيِهِ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِذَا رَأَى أَحَدًا مِنْ أَحَدٍ مَا يَكْرَهُ اسْتَغْضَبَ أَخَاهُ وَهَتَكَ سِتْرَهُ.^(٢)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : النَّصِيحَةُ تَجِبُ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً - عَلَى مَا ذَكَرْنَا قَبْلَ - ، وَلَكِنْ إِبْدَائُهَا لَا يَجِبُ إِلَّا سِرًّا ، لِأَنَّ مِنْ وَعْظِ أَخَاهُ عِلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ ، وَمِنْ وَعْظِهِ سِرًّا فَقَدْ زَانَهُ ، فإِبْلَاغُ الْمَجْهُودِ لِلْمُسْلِمِ فِيمَا يَزِينُ أَخَاهُ أُخْرَى مِنَ الْقَصْدِ فِيمَا يَشِينُهُ.^(٣)

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ٨٣) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٧) .

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٩٦) .

القاعدة الثانية :

لا تحقرن أحداً مهما كان ! ومهما كنت !

عندما يتكبر الشخص - لأي سبب كان - ويحتقر الآخرين يحمله ذلك على الإساءة إليهم وجرح مشاعرهم وربما التعدي عليهم وعدم المبالاة بهم .

لذلك نهانا الشرع عن هذا الخلق الذميم ، لما يسببه من الفتن والمشاكل بين الناس .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَتْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

الحجرات. ﴿١١﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ^(١) لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ » ^(٣) .

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) والبخاري بنحوه . [ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته] .

(٢) صحيح مسلم (١/ ٩٣) ١٤٧ (٩١) . (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً (غمط الناس) معناه احتقارهم .

فالذي تراه اليوم في عينك حقيرًا صغيرًا قد يكون عند الله كريماً عظيماً ، وقد تتقلب الأحوال فتحتاج إليه يوماً من الدهر - مهما كان ومهما كنت - .

قَالَ تَعَالَى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ آل عمران .

وانظر إلى العبرة في هذه القصة :

لما أسلم **وائل بن حجر** الحضرمي الكِنْدِي - وهو من ملوك حضرموت - أقطعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرضاً وبعث معه معاوية بن أبي سفيان يسلمها له ، وكتب له كتاباً ولأهل بيته بما له ، فخرج وائل بن حجر ومعاوية في الهاجرة، معاوية يمشي وهو على راحلته ، فاشتدت الرمضاء فأوجعته ، فقال له معاوية : أردفني ، فقال ما بي ضَن عن هذه الناقة ولكن لست من أرادف الملوك ، قال فألق إلي حذاءك أتقوى به ، قال : لست أضن بالجلدتين ولكن لست به ممن يلبس لباس الملوك ، لكن انتعل ظل الناقة وكفى لك به شرفاً .

فلما ولي معاوية الخلافة قصده وائل بن حجر فتلقاه معاوية وأقعده على سريره مكانه - وذكره الحديث - فقال وائل : وددت أني حملته ذلك اليوم بين يدي .^(١)

(١) مشاهير علماء الأمصار (ص: ٧٧) .

القاعدة الثالثة :

لا تؤذ أحداً

على المسلم أن يتجنب أذية إخوانه المسلمين بأي نوع من أنواع الأذية ... فإذا كان لا يجوز لك أن تؤذي الحيوانات والطيور والحشرات ! فكيف تؤذي الإنسان ؟!

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)

الأحزاب.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى : (٢)

بصوت رفيع فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله (٣).

ونظر ابن عمر إلى الكعبة فقال ما أعظمك وما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

وعند ابن حبان بلفظ : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم ... إلخ الحديث (٤).

وعن أبي برزة الأسلمي : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (٥) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ

بَلْسَانَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ (٦) . (٣)

(١) رواه الترمذي وقال الألباني حسن صحيح . في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٩) .

(٢) (حسن صحيح) ابن حبان في صحيحه . انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢٣٤٠) .

(٣) أبو داود . وقال الألباني حسن صحيح . صحيح الترغيب (٢٣٤٠) .

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : ^(١) المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ » . قَالَ : فَسَكَتُوا فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَقَالَ رَجُلٌ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا . فَقَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ » ^(٣) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ فَلَانَةً - ذَكَرَ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ قَالَ : « هِيَ فِي النَّارِ » ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ فَلَانَةً - ذَكَرَ مِنْ قَلَّةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا - ، وَأَنَّهَا تَصَدَّقَتْ بِأَنْثَارٍ أَقِطٍ ؛ غَيْرَ أَنَّهَا لَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا ؟ قَالَ : « هِيَ فِي الْجَنَّةِ » ^(٤) .

إذا كان الله يعاقب على أذية الحيوان فكيف بأذية الإنسان الذي كرمه الله ورفع فضله على سائر خلقه !!! .

عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ؛ لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) ^(٥) .

(١) رواه البخاري (١٠) . أخرجه مسلم بعضه رقم (٤٠) . (المسلم) أي الكامل الإسلام . (المهاجر) أي الحقيقي اسم فاعل من الهجرة وهي في الأصل مفارقة الأهل والوطن في سبيل الله تعالى وأريد بها هنا ترك المعاصي [.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . مشكاة المصابيح (٤٩٩٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٣) .

(٣) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/ ٢٥١) (٥٧٣٤) وصححه الألباني (الصحيحة - ١٩٠) .

(٤) رواه البخاري (٣٢٩٥) .

وعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (لو غُفِرَ لكم ما تأتون إلى البهائم لغُفِرَ لكم كثيرًا) ^(١).

عن هشام بن حزام قال أشهد لسمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) ^(٢).

قال يحيى بن معاذ - رحمه الله - : (ليكن حظُّ المؤمن منك ثلاثة : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تفرحه فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تدمه) ^(٣).

فالأذية الحسية أو المعنوية ، القولية أو الفعلية هي التي تفتح أبواب المشاكل والخلافات... وتركها يدفع الكثير من ذلك ويسد أبواب الفتن .

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما من ذنبٍ أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) ^(٤).

(١) رواه أحمد والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٦١٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٨٣/٢) .

(٤) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٢٢) .

القاعدة الرابعة :

لا تظلم أحداً ولا تتعدى على حقوق الآخرين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »** ^(١).

الظلم والتعدي على الآخرين عواقبه وخيمة وهو يفتح أبواب المشاكل والفتن والأحقاد والكراهية والانتقامات ، ولذلك حرمه الله على نفسه وجعله محرماً بين عباده .
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٢) يونس.

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : **« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا »** ^(٣).

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) والبخاري بنحوه . [ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته] .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) .

القاعدة الخامسة : ضع نفسك مكانه

أو (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك)

هذه القاعدة تقوم على العدل الذي هو أساس التعامل الحق مع الجميع (مع الموافق والمخالف والمحب والمبغض والصديق والعدو والقريب والبعيد والصغير والكبير والذكر والأنثى ...) وهو المنهج الشرعي الذي أمرنا الله به وحشنا عليه ، وأرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خبائه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضها ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ! ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه ! فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) فدنوت منه فقلت أئشذك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي (^١) .

(^١) رواه مسلم (١٨٤٤) . (وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ويديع حكمه وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها وإن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يجب أن يفعلوه معه .

وهذا عامٌ يشمل جميع المعاملات الحاصلة بين الناس ... مع مراعاة أن تضبط هذا المعاملات بضوابط وميزان الشرع لأنه هو الذي يحدد ويميز الحسن من القبيح ، وما يجوز وما لا يجوز .

والشرع ميزانُ الأمور كلها وشاهدٌ لأصلها وفرعها
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْصَفَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ .^(١)

قال **علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه .^(٢)

قَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوِّىِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة.

قال **المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ** في تفسيره (٢٥ / ٦) عند قوله تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ **النور** . " هَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ أَفَاضَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ ، وَمَا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِ الْإِفْكِ فَقَالَ تَعَالَى : لَوْلَا ، يَعْنِي هَلَا ، إِذْ سَمِعْتُمُوهُ أَي : ذَلِكَ الْكَلَامُ الَّذِي رَمِيتَ بِهِ أَمَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا أَي : قَاسُوا ذَلِكَ الْكَلَامَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَلِيقُ بِهِمْ ، فَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْأُخْرَى .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَامْرَأَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي التَّجَارِ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنَ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَذَلِكَ الْكَذِبُ ، أَكُنْتُ فَاعِلَةً ذَلِكَ يَا أُمَّ أَيُّوبَ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ ، قَالَ : فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ " . اهـ

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٣ / ٤٦٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (راشدون / ٢٤٦) .

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: **«ثلاثٌ كفاراتٌ، وثلاثٌ درجاتٌ، وثلاثٌ منجياتٌ، وثلاثٌ مهلكاتٌ؛ فأما الكفاراتُ: فإِسْبَاغُ الوضوءِ في السَّبَرَاتِ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ، ونقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ. وأما الدرجاتُ: فإِطعامُ الطعامِ، وإِفْشاءُ السلامِ، والصلاةُ بالليل والناسِ نيامٍ. وأما المنجياتُ: فالعدلُ في الغضب والرضا، والقصدُ في الفقر والغنى، وخشيةُ الله في السرِّ والعَلَانِيَةِ. وأما المهلكاتُ: فَشَحُّ مطاعٍ، وهوى متَّبَعٍ، وإِعْجَابُ المرءِ بنفسه»** ^(١).

قال الخطابي:

ارضَ للناس جميعاً مثلما ترضَ لنفسك
إنما الناس جميعاً كلهم أبناء جنسك
فلهم نفسٌ كنفسك ولهم حسٌّ كحسِّك

قال ابن حزم: من أراد أن يظهر له وجه تعسفه في معاملة الناس، فليضع نفسه مكان خصمه فعند ذلك يظهر له وجه تعسفه.

قال أحد الأدباء: أعدلُ السير أن تقيس الناس بنفسك، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مَلَاظِفَةُ الْخَلْقِ: وَهِيَ مُعَامَلَتُهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ مِنَ اللَّطْفِ، وَلَا يُعَامِلُهُم بِالْعُنْفِ وَالشَّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُنْفَرُهُمْ عَنْهُ، وَيُغْرِيبُهُمْ بِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَحَالَهُ مَعَ اللَّهِ وَوَقْتَهُ، فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ، فَإِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بِذَلِكَ: إِمَّا أَجْنَبِيٌّ فَتَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَإِمَّا صَاحِبٌ وَحَبِيبٌ فَتُسْتَدِيمُ صُحْبَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ، وَإِمَّا عَدُوٌّ وَمُبْغِضٌ، فَتُطْفِئُ بِلُطْفِكَ جَمَرَتَهُ وَتُسْتَكْفِي شَرَّهُ، وَيَكُونُ احْتِمَالُكَ لِمَضِضِ لُطْفِكَ بِهِ دُونَ احْتِمَالِكَ لِضَرَرِ مَا يَنَالُكَ مِنَ الْغِلْظَةِ عَلَيْهِ وَالْعُنْفِ بِهِ. ^(٢)

^(١) قال الألباني رواه البزار -واللفظ له-، والبيهقي وغيرهما. وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. صحيح الترغيب والترهيب (٣١٢/١) (٤٥٣). (السَّبَرَات) جمع سَبْرَةٍ، وهي شدة البرد.

^(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٧٨/٢).

قيل **للأحنف بن قيس** : ممن تعلمت الحِلْم قال : من نفسي ! كنت إذا كرهت شيئاً من غيري لا أفعل مثله بأحد .^(١)

وعن **عروة بن الزبير** : أَنَّ الْمِسُورَ بْنَ مُحَرَّمَةَ أَخْبَرَهُ : أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ خَلَا بِهِ ، فَقَالَ : يَا مِسُورُ ! مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأَنْثَمَةِ ؟ قَالَ : دَعْنَا مِنْ هَذَا وَأَحْسِن .

قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَتَكَلِّمَنِي بِذَاتِ نَفْسِكَ بِالَّذِي تَعِيبُ عَلَيَّ . قَالَ مِسُورٌ : فَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئاً أَعِيبُهُ عَلَيْهِ إِلَّا بَيَّنْتُ لَهُ . فَقَالَ : لَا أَتَبَرَّأُ مِنَ الذَّنْبِ ، فَهَلْ تَعُدُّ لَنَا يَا مِسُورُ مَا نَبِي مِنَ الْإِصْلَاحِ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعْشَرِ أَمْثَالِهَا ، أَمْ تَعُدُّ الذُّنُوبَ ، وَتَتْرُكُ الْإِحْسَانَ ؟ قَالَ : مَا تُذَكِّرُ إِلَّا الذُّنُوبَ .

قَالَ مُعَاوِيَةُ : فَإِنَّا نَعْتَرِفُ لِلَّهِ بِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ ، فَهَلْ لَكَ يَا مِسُورُ ذُّنُوبٌ فِي خَاصَّتِكَ تَخْشَى أَنْ تُهْلِكَكَ إِنْ لَمْ تُغْفَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا يُجْعَلُكَ اللَّهُ بِرَجَاءِ الْمَغْفِرَةِ أَحَقَّ مِنِّي ، فَوَاللَّهِ مَا أَلِي مِنْ الْإِصْلَاحِ أَكْثَرَ مِمَّا تَلِي ، وَلَكِنْ - وَاللَّهِ - لَا أُخَيِّرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، إِلَّا اخْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى مَا سِوَاهُ ، وَإِنِّي لَعَلِّي يُقْبَلُ فِيهِ الْعَمَلُ وَيُجْزَى فِيهِ بِالْحَسَنَاتِ ، وَيُجْزَى فِيهِ بِالذُّنُوبِ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهَا . قَالَ : فَخَصَمَنِي . قَالَ عُرْوَةُ : فَلَمْ أَسْمَعْ الْمِسُورَ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ .^(٢)

المتأمل في هذا الموقف يجد الكثير والكثير من الفوائد والعبر والعظات التي لا يتسع المقام لذكرها ونشرها والتوسع فيها ... ومنها الشاهد لهذه القاعدة (**ضع نفسك مكانه**) .

(١) فيض القدير / ٦٥٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٥١ / ٣) عن عَقِيلٍ ، وَمَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عن عروة . رجاله ثقات ، وهو في " المصنف " (٢٠٧١٧) بنحوه من طريق معمر ، عن الزهري . عن حميد بن عبد الرحمن ، عن المسور ... وانظر " أنساب الأشراف " ٤ / ٤٧ . و " تاريخ الإسلام " ٣ / ٨٠ ، و " تاريخ بغداد " ١ / ٢٠٨ ، و " البداية " ٨ / ١٣٣ .

وانظر كيف طبق النبي ﷺ هذه القاعدة مع هذا الشاب :

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنى !! . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه !! فقال ﷺ : ادنه . فدنا منه قريباً . قال : فجلس . قال أتحبه لأُمك ؟ قال : لا والله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله ! جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللَّهُمَّ اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)^(١) .

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ :

عُفُوا تَعَفُّ نَسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ		وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ
إِنَّ الزَّنا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ		كَانَ الْوَفاء مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ
يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعًا		سَبِيلَ الْمَوْدَةِ عَشْتِ غَيْرِ مَكْرَمٍ
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَاجِدٍ		مَا كُنْتَ هَتَّاءَ كَأَلْحَرَمَةِ مُسْلِمٍ
مَنْ يَزْنِ يُزْنٌ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ		إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبَيًّا فَافْهَمْ
مَنْ يَزْنِ فِي قَوْمٍ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ		فِي بَيْتِهِ يُزْنِي بِغَيْرِ دِرْهَمٍ

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٢٥٦ - ٢٥٧) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٧٠) .

هذه القاعدة تستعمل حتى مع البهائم في بعض الحالات ! ومنها :

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا ، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَنَافِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ ^(١) .

إذا طبقنا هذه القاعدة في حياتنا ومعاملاتنا سلمنا من كثيرٍ من المشاكل والخلافات التي تحصل وعالجنا كثيرًا مما حصل منها بيننا وفي أوساطنا .

فهذه القاعدة يستعملها الزوج مع زوجته والعكس ، والأب مع ولده والعكس ، والتلميذ مع شيخه والعكس ، وصاحب العمل مع عماله والعكس ، والمدير مع موظفيه والعكس ، والراعي مع رعيته والعكس ، والجار مع جاره ، والصديق مع صديقه ، والقريب مع قريبه ، ومع الفقراء والضعفاء والمرضى والمحتاجين وفي حال الخطأ والزلل و... الكثير والكثير يندرج تحتها .

- **هذه القاعدة** أغلبية ونسبية فلا بد من التنبه لذلك .

- **هذه القاعدة** لا تستعمل لتبرير وتميرير الأخطاء والسكوت عليها ولكن تستعمل لمعرفة كيف يكون حال الشخص في ذلك الموقف ، وتقدير التصرف المناسب للتعامل معه ، والعلاج الصحيح لما حصل منه وله .

المساحات الواسعة يتحرك فيها الشخص كيفما يشاء ، ولكن المساحات الضيقة لا يمكن أن يتحرك فيها الشخص إلا بمقدار ما يُسمح له !!! فلا تضيقوا الأمور أكثر على من ضاقت عليه وقدّروا الأمور بقدرها ، والتمسوا الأعذار لغيركم كما تلتمسوها لأنفسكم ، قبل أن يبتليكم الله ويضيق عليكم .

(١) صحيح البخاري (٢٣٦٣) وأخرجه مسلم رقم (٢٢٤٤) . (يلهث) يرتفع نفسه بين أضلاعه أو يخرج لسانه من شدة العطش . (الثرى) التراب الندي وقيل يعض الأرض . (وإن لنا في البهائم لأجرا) أيكون لنا في سقي البهائم والإحسان لها أجر . (في كل كبد) في الإحسان إلى كل ذي كبد . (رطوبة) حياة .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : من دلائل رقة قلب المؤمن أن يتوجع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر ، حتى كأنه هو الذي عثر بها ، ولا يشمت به .^(١)

قبيحٌ من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
ولو كان ذا عقلٍ لما عاب غيره وفيه عيوبٌ لو رآها به اكتفى

(١) المدارج (١ / ٤٣٦) .

القاعدة السادسة :

مراعاة اختلاف نفسيات الناس واختلاف طبائعهم

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمرٌ حلوٌ مذاقته وذاك ليس له طعمٌ ولا ثمر

من الأمور المهمة أن تعلم أن الناس أجناس مختلفة ، وطبائع متعددة ، وصفات متنوعة ، وعقليات متباينة ، وهذا ينفك كثيرًا في تحديد نوعية التعامل معهم ، واختلاف درجات الردود تجاههم ، وتقبل ما يجيء منهم وعنهم .

لا تحسبِ الناس طبعًا واحدًا فلهم طبائعُ لست تُحصيهُنَّ ألوانا

أنت لن تستطيع تغيير طباع الناس وتجعلهم على وتيرة واحدة كما تريد وتشاء ، ولكنك تستطيع أن تغيّر طباعك وتعامل مع الناس على اختلاف طبائعهم بما يتناسب ويتكيف معهم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا ، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ ، وَمَا تَنَازَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »** ^(١).

فمن الناس من يُحْتَمَلُ منه الشدة ما لا يُحْتَمَلُ من غيره .

ومنهم من يُحْتَمَلُ منه القسوة ما لا يُحْتَمَلُ من غيره .

ومنهم من يُحْتَمَلُ منه الكلام الجارح ما لا يُحْتَمَلُ من غيره .

ومنهم من يُحْتَمَلُ منه الكلام البذيء ما لا يُحْتَمَلُ من غيره .

ومنهم من يُحْتَمَلُ منه التناول ما لا يُحْتَمَلُ من غيره .

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٣١) (٢٦٣٨) وهو عند البخاري بنحوه .

ومنهم من ينفع معه اللين .
ومنهم من ينفع معه القوة .
ومنهم ومنهم ومنهم ...

إنَّ العقل والحكمة والمعرفة بطبائع الأمور تقتضي تقبُّل الميسور من أخلاق الناس، والرضا بالظاهر من أحوالهم، وعدم التقصِّي على سرائرهم أو تتبع دخائلهم ، كما تقتضي قبول أَعذارهم والغض عن هفواتهم، وحملهم على السلامة وحسن النية . وإذا وقعت هفوة أو حصلت زلة فليس من الأدب وليس من الخلق الحسن المسارعة إلى هتكِها، والتعجل في كشفها ! فضلاً عن التحدث بها وإفشاءها .

فمعرفة اختلاف طبائع الناس وتغيُّر نفسياتهم يعينكم على معرفة تنوع التعامل معهم وتحمِّلهم وما هو الأسلوب المناسب لكل صنف منهم إلخ ... وبهذا نتجنب الكثير من المشاكل والخلافات .

قال **أَبُو حَاتِم بن حَبان** رَحِمَهُ اللهُ : الواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في الماء الجاري ، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدَّر على نفسه عيشه ولم تصف له مودته، لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على مَا هم عَلَيْهِ ، إلا أن يكون مَأْتِماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قد رُكِبَ فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة ، فكما يشق عليك ترك مَا جبلت عَلَيْهِ ، فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله ، فليس إلى صفو ودادهم سبيل إلا بمعاشرتهم من حيث هم والإغضاء عَن مخالفتهم في الأوقات .^(١)

- **ومن جميل كلام الحكمة** : لا تعامل كل الناس بأسلوبٍ واحد ، فليس كل المرضى يأخذون نفس الدواء .

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٧١) .

القاعدة السابعة :

مراعاة ظروف الناس وحالتهم الصحية والنفسية

يمرُّ الناس بظروفٍ مختلفة تؤثر على حياتهم ونفسياتهم وسلوكهم وردّاتِ أفعالهم .
وكذلك قد يعاني البعض من أمراض تؤثر على حياتهم ونفسياتهم وسلوكهم وردّاتِ أفعالهم .
وكذلك قد يعاني بعض الناس من مشاكل وضغوطات في الحياة وظروفٍ خاصّة أو عامة تؤثر
على حياتهم ونفسياتهم وسلوكهم وردّاتِ أفعالهم .

وغير ذلك من أنواع المصائب والبلاء الذي يعاني منه الناس في حياتهم وسيرهم وتعاملاتهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۚ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء .

فمراعاة مثل هذه الأمور والظروف يجنبنا الكثير من المشاكل والمصادمات والخلافات
ويضبط لنا ردود أفعالنا مع الناس والتماس الأعذار والمعاذير لهم .

القاعدة الثامنة :

لا تفرغ غضبك وهمك على الآخرين

بعض الناس قد يمر بما سبق من الظروف والأحوال فإذا حصل له موقفٌ أو خلافٌ مع أحد من الناس يقوم بالانفجار في وجهه وتفرغ ما عنده من الضيق والغضب عليه ، وهذا خطأ ، وليس بعذرٍ لك ما تمر به من الظروف أو تعانيه من الأمراض ! فالكل يعاني ، والكل لا بد أن يتحمل حتى لا تنفجر المشاكل والصراعات في المجتمع ، وأيضًا ما ذنب هذا الشخص حتى تنتقم فيه ومنه ! وما يدريه ما تعانيه ! فتنبه فليس كل شخصٍ سيتحملك ، ولا كل شخصٍ سيعذرك ، والله أعلم لعل الطرف الآخر يمر بأسوأ مما تمر به ويعاني أكثر مما تعاني ، فضغوط الحياة تمر على الجميع ! فاضبط نفسك وتمالك أعصابك .

القاعدة التاسعة :

نافس ولا تحسد

الحسد داءٌ خبيثٌ وهو سببٌ لكثيرٍ من المشاكل والصراعات والنزاعات والكراهية والبغضاء والأحقاد في المجتمع ، وهذا عامٌ بين الأفراد والجماعات والفرق والدول والحكام ! حتى في داخل الأسرة الواحدة ، حتى بين أهل التدئين ، والبعض قد يتسترَّ حتى لا يفضح بأسبابٍ وهمية واهية يظهرها للناس ، والأصل في ذلك مرض الحسد الذي قد أكل الجسد .

والحسد من الآفات العظيمة التي تصيب القلوب ، وتفتك بالأبدان ، وتأكل الحسنات ، وتجلب الحسرات ، وتوقع في الوسوس وسوء الظنون ، وتقطع العبد عن الخير ، وتعرقل سيره إلى ربه عز وجل ، داءٌ هو من أخبت الأدوية ومرضٌ من أسوأ الأمراض وخُلُقٌ من أردئ الأخلاق ! نسأل الله السلامة والمعافاة !

هذا الداء العضال الذي حذرنا منه ربنا سبحانه وتعالى ، وحذرنا منه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في الشرع بيان حرمة وقبحه وضرره وخطره ومظاهره وآثاره ! وبَيَّنَّ بياناً شافياً كافياً ! لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّا يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاءِ أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۚ ﴾ النساء .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبدالرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك : تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض »^(١) .

(١) رواه مسلم (٢٩٢٦) . [ش (نقول كما أمرنا الله) معناه نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله (تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ... إلخ) قال العلماء : التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه وهو أول درجات الحسد وأما الحسد فهو تمنى =

فهذا المرض وهذه الآفة وهذا الداء لخصَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا تاريخه فقال **«دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد، والبغضاء هي الحالقة، ليس حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت لكم ذلك! أفشوا السلام بينكم»** ^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد، حتى يكون البغي»** ^(٢). فهو داء الأمم الذي دمرها وأشقاها وفرق بين أبنائها.

الحسد هو أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء، فحسد إبليس - عليه لعائن الله - آدم عليه السلام فحمله ذلك على عصيان أمر الله بالسجود لآدم؛ فحسر كل شيء... خسر الدنيا والآخرة!!!
والحسد هو أول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض حسد قابيل أخاه هابيل حين تقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر... فحمله الحسد على قتل أخيه... فكان من الظالمين.

والحسد حمل إخوة يوسف - عليه السلام - على الهمم بقتله ثم تراجعوا واكتفوا بإلقائه في غيابة الحب - في البئر - فلقي مالقي من نكد العبودية ثم الفتنة والسجن.

والحسد هو الذي حمل كفار مكة على محاربة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والكفر به.

والحسد هو الذي حمل يهود المدينة على الكفر والتكذيب للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مع علمهم بصدقه ومعرفتهم بصفته.

والحسد هو الذي حمل عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المنافقين على عدااء النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

= زوال النعمة عن صاحبها والتدابير التقاطع وقد يبقى مع التدابير شيء من المودة، أو لا يكون مودة ولا بغض، وأما التباغض فهو بعد هذا، ولهذا رتب في الحديث (ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض) أي ضعفاءهم فتجعلون بعضهم أمراء على بعض هكذا فسروه.

^(١) عن ابن الزبير رواه البزار بإسناد جيد. وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢٦٩٥).

^(٢) رواه الحاكم وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٦٨٠).

وهكذا لا تكاد تجد أمةً من الأمم إلا وتجد داء الحسد قد انتشر فيها وأثرَ عليها وفتك بها ...
ولو نظرت في الأمثلة السابقة وغيرها وتأملتَها جيداً لوجدت أن الحاسد دائماً هو الخاسر وعليه
تدور الدوائر .

أقول هذا حتى لا يبتئس المحسود ويضيق ذرعاً بالحاسد ويظن أنه هو المنتصر والرابح وأنه
يحقق مراده ويشفي ما في نفسه .

- قصة الحاسد :

ذكر صاحب " بدائع السلك في طبائع الملك " إذ قال : " كان رجلاً يغشى بعض الملوك ، فيقوم
بجذاء الملك ، ويقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه ، والمسيء ستكفيه مساوئه ، فحسده رجلاً على
ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك ، فقال : إنَّ هذا الذي يقوم بجذائك ، ويقول ما يقول يزعم
أن الملك أبخّر ، فقال له الملك : وكيف يصح ذلك عندي ؟ قال : تدعو به إليك ، فإذا دنا منك
وضع يده على أنفه لئلاً يشم ريح البخر ، فقال له الملك : انصرف حتى أنظر ، فخرج من عند الملك ،
فدعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده ، وقام بجذاء الملك ، فقال :
أحسن إلى المحسن بإحسانه ، والمسيء ستكفيه مساوئه ، فقال له الملك : ادن مني ، فدنا منه ، فوضع
يده على فيه ، مخافة أن يشتم الملك منه ريح الثوم ، فقال الملك في نفسه : ما أرى فلاناً إلا وقد
صدق ، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة ، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله :
إذا أتاك حامل كتابي هذا ، فاذبحه ، واسلخه ، واحش جلدَه تبناً ، وابعث به إليّ ، فأخذ الرجل الكتاب ،
وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : خط الملك لي بصلة ، فقال :
هبه لي ، فقال : هولك ، فأخذه ، ومضى إلى العامل ، فقال العامل : في كتابك : أن أذبحك ، وأسلخك ،
قال : إن الكتاب ليس هو لي ، الله الله في أمري حتى أرجع إلى الملك ، فقال : ليس لكتاب الملك
مراجعة ، فذبحه ، وسلخه ، وحشا جلدَه تبناً ، وبعث به ، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته ، وقال مثل
قوله ، فعجب الملك وقال : ما فعل الكتاب ؟ قال : لقيني فلان ، فاستوهبني إياه ، فوهبته له ، فقال

الملك : إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبحر، قال : ما فعلت، قال : فَلِمَ وضعت يدك على فيك؟ قال : كان أطعمني طعاماً فيه ثوم ، فكرهت أن تشمه ، قال : صدقت ، ارجع إلى مكانك، فقد كفأك المسيء مساوئته " .^(١)

• تعريف الحسد :

قال ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - : الحسد تمنى زوال النعمة عن مستحق لها .^(٢)

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ : الحسد هو تمنى زوال النعمة عن صاحبها، سواءً كانت نعمة دين أو دنيا.^(٣)

تعريف الغبطة : وهو أن يرى النعمة في غيره فيتمناها لنفسه من غير أن تزول عن صاحبها ، وهو جائزٌ ومحمود .

أو هي أن يشتهي أن يكون له مثل ما لغيره من النعم مع حب دوام ذلك لغيره ، ويسمى غبطة .
قال أهل اللغة الغبطة : أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه ، وليس هو بحسد تقول منه غبطته بما نال أغبطه بكسر الباء غبطاً وغبطة فاغبط هو كمنعته فامتنع وحبسته فاحتبس .^(٤)

والغبطة تدفع صاحبها إلى التنافس الشريف .

- وانتشار الحسد دليل على ضعف الدين :

وعن ضمرة بن ثعلبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ^(٥) لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا ^(٦) .

(١) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبد الله محمد بن الأزرقي الأندلسي ٥١٤/٢ .

(٢) فتح الباري (٤٨١/١٠) .

(٣) رياض الصالحين (ص : ٤٦٦) .

(٤) صحيح مسلم - المعتمد - (٢ / ١١١٤) .

(٥) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٨٨٧) .

فالإِنسان العاقل يجتنب مثل هذه الآفات والأعمال المنكرات ويطرف عن الوقوع فيها ويدافع هذا الشعور حتى لا يتمكن من قلبه ويستحكم فيه ؛ فيهلك ويخسر دنياه وأخراه .
قال الحسن رَحِمَهُ اللهُ : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من حاسد ، نغصُ دائماً ، وحرزٌ لازم .
وعليه أن يستبدل ذلك بالغبطة المشروعة والتنافس الشريف الذي ينفع ويرفع ويشمر ولا يضر ويؤلف ولا يُنقِر ويجمّع ولا يفرق .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يُنْظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمُهُمُ مِّسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المطففين .

عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« لا حسد إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مَالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »** .^(١)
قال أبو إدريس الخولاني : أychسب أصحاب محمدٍ أن يستأثروا به دوننا !!! والله لنزاحمتهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا .

" فإذا أحسست - رحمك الله - من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت من مخالطته ، فإنه أعون الأشياء لك على مسالمته ، وحصن سرك منه تسلم من شره وعوائق ضره ، وإياك والرغبة في مشاورته، ولا يغرنك خدعُ مَلَقِهِ، وبيانُ دَلَقِهِ، فإن ذلك من حبائل نفاقه .

(١) رواه البخاري رقم (٧٣) ومسلم (٨١٦) . (لا حسد) المراد حسد الغبطة وهو أن يرى النعمة في غيره فيتمناها لنفسه من غير أن تزول عن صاحبها وهو جائز ومحمود . (فسلطه على هلكته في الحق) تغلب على شح نفسه وأنفق في وجوه الخير . (الحكمة) العلم الذي يمنع من الجهل ويزجر عن القبيح [. (لا حسد) جائز ومشروع ومطلوب ومعناه هنا أن يشتهي أن يكون له مثل ما لغيره من النعم مع حب دوام ذلك لغيره ، ويسمى غبطة . (آتاه الله الكتاب) أعطاه القرآن حفظاً وفهماً . (آناء الليل) ساعاته وأوقاته [. (لا حسد إلا في اثنتين) قال العلماء : الحسد قسمان : حقيقي ومجازي ، فالحقيقي : تمنى زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة ، وأما المجازي : فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، وإن كانت طاعةً فهي مستحبة والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما (آناء الليل وآناء النهار) أي ساعاته واحده الآن .

فإن أردت أن تعرف آية مصداقه فأدنين إليه من يهينك عنده ، ويذمك بحضرته، فإنه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل، ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل . وهو ألح في حسده لك من الذباب، وأسرع في تهريقك من السيل إلى الحدود .
وما أحب أن تكون عن حاسدك غيبياً ، وعن وهمك بما في ضميره نسياً ، إلا أن تكون للذل محتملاً، وعلى الدناءة مشتملاً، ولأخلاق الكرام مجانباً ، وعن محمود شيمهم ذاهباً ، أو تكون بك إليه حاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفاً ، وعرضك لمن أرادك غرضاً .
وقد قيل على وجه الدهر: " الحرة تجوع ولا تأكل بنديها " .
وربما كان الحسود للمصطنع إليه المعروف أكفر له وأشد احتقاراً ، وأكثر تصغيراً له من أعدائه " (١) .

" قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها .
أخذه الشاعر فقال :
كلُّ العداوات قد ترجى إماتتها إلاَّ عداوة من عاداك من حسد

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : ليس في خلال الشر أشر من الحسد، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .
كان يقال : الحاسد إذا رأى نعمة بهت ، وإذا رأى عثرة شمت .
قال الخليل بن أحمد رحمه الله : لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد . " (٢)
قال أبو حاتم بن حبان رحمه الله : العاقل إذا خطر بباله ضربٌ من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانهِ وترك إبداء ما خطر بباله .

(١) الرسائل للجاحظ (٣/ ١٦) .

(٢) من لطائف ولآئى (بهجة المجالس وأنس المجالس) (مرتبا بالآيات والسور) (ص: ١١٤، بترقيم الشاملة آليا) .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران أو من تقارب الشكل ، لأن الكتبة لا يحسدها إلا الكتبة ، كما أن الحجة لا يحسدها إلا الحجة ، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها أو يحسده فيها ، والحاسد خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكمًا عند نائبة تحدث ، فإنه إن حكم لم يحكم إلا عَليّه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس للمحسود عنده ذنبٌ إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه .^(١)

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٣٦) .

القاعدة العاشرة :

اترك المعاصي

من الأمور الخطيرة والتي بسببها تحدث المشاكل والخلافات ارتكاب المعاصي والوقوع في الذنوب والآثام ... إلخ ، فإذا أردنا السلامة فعلينا بتركها واجتنابها والتوبة منها .

عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« ما اختلج عرقٌ ولا عينٌ إلا بذنب ، وما يدفع الله عنه أكثر . »**^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كان يقول : **« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله . - ويقول : - والذي نفسي بيده ما توادَّ اثنان فيفرق بينهما إلا بذنبٍ يُحدثهُ أحدهما . »**^(٢)

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« لا يصيب عبدًا نكبةٌ فما فوقها أو دونها إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر . »**^(٣)

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٣٠) **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**^(٣١) الشورى .

فالمعاصي تجلب المصائب وتزرع النفرة في قلوب الناس بعضهم لبعض ، وتجلب العداوات فيما بينهم ، وتزيل نعمة الألفة والمحبة .

^(١) رواه الطبراني في " المعجم الصغير " (رقم ١٠٥٣) وعنه أبو نعيم في " أخبار أصبهان " (٢ / ٢٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٩٦٩ / ٢) (٥٥٢١) . والروض ١٦٠ ، والصحيحة ٢٢١٥ .

^(٢) رواه أحمد وأحمد بإسناد حسن . وصححه لغيره المحدث الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٥٣٢) وجاء عن أنس . الصحيحة ٦٣٧ . صحيح الجامع الصغير وزيادته (٩٨١ / ٢) (٥٦٠٣) .

^(٣) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢٧٨ / ٢) ٧٧٣٢ - ٢٨٤٣ . والمشكاة ١٥٥٨ .

القاعدة الحادية عشر : حُكْمُ الشَّرْعِ تَسْلَمُ وَتَغْنَمُ

من أعظم أسباب المشاكل والخلافات والقتل والقتال بين الناس هو عدم تحكيم شرع الله فيما يحصل بينهم ، فشرع الله فيه الهدى والنور والحلول الصحيحة لسائر مشاكلنا ومشاكل العالم وخلافاته وما يتنازع فيه الناس على المستوى العام والخاص .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝۱ ﴾ الإسراء. ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ۚ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۝۸۹ ﴾ النحل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مَقَاتِلَ قَوْمٍ قَطَّ حَتَّى دُكِّرُوا بِهِ ۚ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝۱۴ ﴾ المائدة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)^(١) .

فنحتاج أن نُحْكَمَ شرع الله في حياتنا ؛ حتى نسلم ونغنم .

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) وأبو نعيم في " الحلية " (٨ / ٣٣٣ - ٣٣٤) . جاء في بعض الروايات : ويتخبروا مما أنزل الله ...

القاعدة الثانية عشر :

المراعاة في الاتصالات وفي وسائل التواصل

الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي هي سلاح ذو حدين ، فإذا أحسنّا استخدامها كانت سبباً في تقوية الأواصر والروابط وعوناً على صلة الأرحام والأقارب .

وإذا أسأنا استخدامها كانت سبباً للمشاكل والخلافات وتدمير وتمزيق النسيج الاجتماعي وقطيعة الأرحام والأقارب ... فتصير وسائل تقاطع بدلاً عن التواصل .

وهنا تنبيهات وهي :

- أنه قد يسهل على الشخص في وسائل التواصل أن يفتح أبواب المشاكل ويتجراً أن يسب فلاناً أو علاناً أو يتكلم عليه بما لا يستطيع أن يتكلم به لو كان أمامه ، وهذا ملاحظ ومشاهد في المراسلات في وسائل التواصل ... فلا بد أن يتنبه الشخص لذلك قبل أن يندم.
- وأيضاً الرسائل المكتوبة جافة لا تحمل مشاعر وتعابير الكاتب ، وقد تُفهم على غير ما يريده الكاتب أو تُحمّل ما لا يحتمله الكاتب .
- وأيضاً قد يكتب الشخص رسالة أو مقال في حالة غضب أو تحمس فيستعجل ويرسله وينتشر ! وعندما يهدأ ويراه في اليوم التالي يندم على ما كتب ! ولكن فات الأوان ! فنصيحتي لإخواني الكرام ألا يستعجل الشخص بإرسال شيء كتبه في حال الغضب أو الحماس حتى يهدأ ويتبين في أمره .

القاعدة الثالثة عشر :

تبسم دائماً

حاول أن تكون مبتسماً في وجوه من حولك قدر المستطاع ، فالابتسامة صدقة وتجلب المحبة وتدخل السرور على الآخرين ، وتطفى نار العداوة والبغضاء ، والشخص المبتسم أبعد عن الوقوع في المشاكل والخلافات ، والناس تتحمله وتتحمل منه لحسن ابتسامته وسمته ، بخلاف الشخص العابس الغضوب فهو سريع إلى المشاكل والخلافات ، بطيئ إلى الصلح والعفو ، ومخيف للناس ، وينشر الكآبة والبؤس في المجتمع .

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القائل : ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صدقة))^(١).

يقول الشافعي^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أُرِحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أَحْيَيْ عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ لَأُدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضَهُ كَمَا أَنَّ قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ
النَّاسِ دَاءً وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ

(١) عَنْ أَبِي دَرٍّ وَصَحَّه الْأَلْبَانِي فِي التَّعْلِيلَاتِ الْحَسَنَ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ (١/٤٦٣)(٤٧٤) وَالصَّحِيحَةُ (٥٧٢) .

(٢) ديوان الشافعي (ص: ٤٨) .

القاعدة الرابعة عشر : أحرص على الكلمة الطيبة

الكلمة الطيبة اللينة تلين القلوب القاسية والخشنة حتى تجعلها ألين من الحرير .
والكلمة الخشنة تقسي القلوب اللينة والرقيقة حتى تجعلها أقسى من الصخر .
والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القائل : « والكلمة الطيبة صدقة »^(١) .

وعن أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة : « قال طيب الكلام ، وبذل السلام ، وإطعام الطعام »^(٢) .

والشيطان يستغل فلتات اللسان والتجاوز في المقال فيضخم الأمور ، ويشعل الفتن والخلافات ،
فكن حذرًا ! وانتقي كلماتك ، وحسن أسلوبك في الخطاب والتحاور . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي
يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ الإسراء .

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البخاري رقم (٢٧٣٤) ومسلم (١٠٠٩) .

(٢) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٩٩) .

القاعدة الخامسة عشر :

خذ الحق الذي لك وأد الحق الذي عليك

على الإنسان ألا يأخذ إلا حقه ولا يطالب إلا بحقه ... وعليه أن يؤدي حقوق الآخرين ولا يتعدّ على حقوقهم ... وهذا مع الجميع ، وسواء كانت الحقوق مادية أو معنوية أو مشتركة .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول **” حق المسلم على المسلم**

خمس رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس **”** .^(١)

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : **” أمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبع ونهانا عن سبع أمرنا باتباع الجنائز**

وعبادة المريض وإجابة الداعي ونصر المظلوم وإبرار القسم ورد السلام وتشميت العاطس ... **”** .^(٢)

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **” ستُّ خصالٍ واجبة**

للمسلم على المسلم من ترك شيئاً منهن فقد ترك حقاً واجباً : يجيبه إذا دعاه وإذا لقيه أن يسلم

عليه وإذا عطس أن يشمته وإذا مرض أن يعودوه وإذا استنصحه أن ينصحه له **”** .^(٣)

وحقوق المسلم التي نراعيها كثيرة في نفسه وماله وعرضه وسائر أمره ، فلا بد أن نتنبه لهذه

القاعدة ونعمل بها ، فإنما تحصل الكثير من المشاكل بسبب الإخلال بالعمل بهذه القاعدة ! فتجد

البعض إما أن يترك حقاً أو يمنع حقاً أو يتعدّى على حق أو يطالب بباطل .

^(١) رواه البخاري رقم (١١٨٣) ومسلم (٢١٦٢) .

^(٢) رواه البخاري رقم (١١٨٤) .

^(٣) صححه الألباني وقال رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ وغيره . صحيح الترغيب والترهيب (٢١٥٧) . ناقص الحديث خصلة

القاعدة السادسة عشر :

إياك من جفاف المشاعر ، واحذر من التحسس الزائد

قد تقع المشاكل والخلافات بسبب جفاف المشاعر وعدم المبالاة بمشاعر وأحاسيس الآخرين، وقد يكون السبب في ذلك هو التحسس الزائد من الطرف الآخر ، وهذا قد يحدث كثيراً بين الزوجين وبين كل متحايين .

وجفاف المشاعر تجاه المسلمين يدل على ضعف الإيمان وأمراض في القلب . والعكس يدل على العكس.

وقد يكون السبب في ذلك اختلاف طبائع الناس نتيجة التربية التي تربوا عليها أو البيئة التي عاشوا فيها أو الظروف التي مروا بها .

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** (١).

والمسلم يكون معتدلاً في مشاعره تجاه الآخرين ، فلا إفراط ولا تفريط ولا جفاف ولا إغراق .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« أحب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما »** (٢).

وجاء عن زيد بن أسلم عن أبيه **عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً . فقلت كيف ذاك ؟ قال إذا أحببت كلفت كلف الصبي ، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف . (٣)

وكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل .

(١) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) . (لا يؤمن أحدكم) الإيمان الكامل .

(٢) رواه الترمذي والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٧) . وثبت عن علي رضي الله عنه موقوفاً وحسنه الألباني . انظر الأدب المفرد رقم (١٣٢١) .

(٣) صححه الألباني . انظر الأدب المفرد رقم (١٣٢٢) .

القاعدة السابعة عشر :

إياك إياك من تحريش إبليس وأعوانه

إبليس وأتباعه وأعوانه من شياطين الجن والإنس لهم سعيٌ حثيث في التحريش بين الناس وإفساد ذات البين وإشعال الفتن والخلافات والمشاكل بين الناس ، فيحتاج الإنسان أن يحذر منهم ولا يفتح أذنيه لهم ؛ حتى لا يقع في حبالهم ومكرهم .

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **« إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ »** ^(١).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« إِنَّ إِبْلِسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ : فَيَدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعَمَ أَنْتَ »** . قَالَ الْأَعْمَشُ : أَرَاهُ قَالَ : **« فَيَلْتَزِمُهُ »** ^(٢).

واحذر من خطوات شياطين الجن والإنس : قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ النور .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة .

^(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٦) (٢٨١٢) (ولكن في التحريش بينهم) أي ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها . (التحريش) : هو الإغراء وتغيير القلوب والتقاطع .

^(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) (٢٨١٣) . (فيلتزمه) أي يضمه إلى نفسه ويعانقه .

ولا تفتح أذنك للمحرشين والنامامين والمغتابين فهم يجدون راحتهم في الإفساد في المجتمع والتحرّيش بين الناس ، بل وحتى في التحريش بين البهائم .

ومن يطع الواشين لم يتركوا له صديقاً ولو كان الحبيب المقرباً

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : " أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُحَرِّشَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ " .^(١)

عَنْ حُذَيْفَةَ ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْقُلُ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » .^(٢)

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ ، قَالَ : فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ **حُذَيْفَةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » .^(٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بِوَجْهِهِ ، وَهَوْلَاءَ بِوَجْهِهِ » .^(٤)

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنهما : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا؛ كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .^(٥)

(١) صحيح الأدب المفرد (ص: ٤٧٨) ٥٢٣- باب التحريش بين البهائم ١٢٣٢/٩٤٠ .

(٢) صحيح مسلم (١٠١/١) ١٦٨ - (١٠٥) .

(٣) صحيح مسلم (١٠١/١) ١٦٩ - (١٠٥) صحيح البخاري (١٧/٨) (٦٠٥٦) . [ش (لا يدخل الجنة نام وفي أخرى قتات) فالقتات هو النمام قال الجوهرى وغيره يقال نم الحديث ينمه وينمه نما والرجل نام وقته يقته قَتًا . قال العلماء النميعة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم] . (قال الحافظ) : " (الْقَتَاتُ) وَ (النَّمَامُ) بمعنى واحد . وقيل : (النام) : الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثاً فينمّ عليهم . و (القتات) : الذي يتسمع عليهم ، وهم لا يعلمون ، ثم ينمّ . صحيح الترغيب والترهيب (٧٣/٣) .

(٤) صحيح البخاري (٧١/٩) (٧١٧٩) ومسلم (٢٥٢٦) .

(٥) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/٢٤٧) (٥٧٢٦) و صححه الألباني (الصحيحة - ٨٩٢) .

حَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ : كشف مَا يَكْرَهُ كَشَفَهُ سَوَاءَ كَرِهَهُ الْمُنْقُولُ عَنْهُ أَوِ الْمُنْقُولُ إِلَيْهِ أَوْ كَرِهَهُ ثَالِثٌ، أَوْ سَوَاءَ كَانَ الْكُشْفُ بِالْقَوْلِ أَوِ الْكِتَابَةِ أَوِ بِالرَّمْزِ أَوِ بِالْإِيْمَاءِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَسَوَاءَ كَانَ الْمُنْقُولُ قَوْلًا أَوْ عَمَلًا عَيْنِيًّا أَوْ غَيْرِهِ .

إِذَا فَحَقِيقَتُهَا : إِفْشَاءُ السَّرِّ وَهَتَكَ السَّرِّ مِمَّا يَكْرَهُ كَشَفَهُ .

وَاخْتَصَرَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ : نَقَلَ مَكْرُوهَ لِيَفْسُدَ .

وَضَابَطُهَا كَشَفَ مَا يَكْرَهُ مِنْ شَيْءٍ بِكُلِّ مَا يَفْهَمُ .

- **قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ :**

وهل هلك الضعفاء وسقط من لا عقل له إلا في قلة المعرفة بالناصح من النمام .^(١)

عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُعَذِّبَانِ ، وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ » ثُمَّ قَالَ : « بَلَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » . ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيَّبَسَا » أَوْ : « إِلَى أَنْ يَيَّبَسَا » .^(٢)

عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ : كُنَّا نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَرْنَا عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَامَ فَقُمْنَا مَعَهُ فَجَعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ حَتَّى رَعَدَ كُمْ قَمِيصِهِ فَقُلْنَا : مَا لَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : (مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ) ؟ قُلْنَا : وَمَا ذَاكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : (هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبٍ هَيْنٍ) قُلْنَا : مِمَّ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : (كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُهُ مِنَ الْبَوْلِ وَكَانَ الْآخَرُ يُؤْذِي

(١) طوق الحمامة ص ١٧٩ .

(٢) صحيح البخاري (٥٣/١) (٢١٦) ومسلم (١١١ - ٢٩٢) . (وما يعذبان في كبير) قد ذكر العلماء فيه تأويلين : أحدهما : أنه ليس بكبير في زعمهما ، والثاني : أنه ليس بكبير تركه عليهما ، وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى تأويلاً ثالثاً : أي ليس بأكبر الكبائر (بالنميمة) حقيقتها : نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد (لا يستتر) روى ثلاث روايات يستتر ويستنزّه ويستبرئ وكلها صحيحة ومعناها لا يتجنبه ويتحرز منه (بعسيب) هو الجريد والغصن من النخل ويقال له العثكال .

النَّاسِ بِلِسَانِهِ وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالتَّمِيمَةِ (فَدَعَا بِجَرِيدَتَيْنِ مِنْ جَرَائِدِ النَّخْلِ فَجَعَلَ فِي كُلِّ قَبْرِ وَاحِدَةً قُلْنَا : وَهَلْ يَنْفَعُهُمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (نَعَمْ يَخَفُّ عَنْهُمَا مَا دَامَا رَطْبَتَيْنِ) .^(١)

وقد أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله تعالى .

وعن **عبد الرحمن بن غنم** قال : قال النبي ﷺ : « خيارُ عبادِ الله الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله، وشرارُ عبادِ الله المشاؤونَ بالتَّمِيمَةِ ، المفرّقونَ بينَ الأحبّةِ ، الباغونَ لِلْبُرَاءِ الْعَيْبِ » .^(٢)

- قصة العبد النمام :

يحكى أن رجلاً باع عبداً ، وقال للمشتري : ما فيه عيب إلا النميمة ، قال : قد رضيت ، فاشتراه ، فمكث الغلام أياماً ، ثم قال لزوجة مولاه : إن سيدي لا يحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك ، فخذني الموسى ، واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها ، فيحبك ، ثم قال للزوج : إن امرأتك اتخذت خليلاً ، وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف ذلك ، فتناوم لها ، فجاءت المرأة بالموسى ، فظن أنها تريد قتله ، فقام إليها فقتلها ، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ، ووقع القتال بين القبيلتين .^(٣)

وصدق القائل : من نمّ لك نمّ عليك .

(١) رواه ابن حبان في "صحيحه". وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٠٧).

(٢) حسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٧٤)(٢٨٢٤) وقال : رواه أحمد عن شهر عنه ، وبقيّة إسناده محتج بهم في "الصحيح" ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي الدنيا عن شهر عن أسماء عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا: "الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ" (٢٨٢٥) [حسن لغيره] .

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٨ .

سعى رجلٌ بالليث بن سعد إلى والي مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث إن هذا أبلغني عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله أصلح الله الأمير عما أبلغك أهو شيءٌ أئتمناه عليه ؟ فخاننا فيه ! فما ينبغي لك أن تقبل من خائن . أو شيء كذب علينا فيه ؟ فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب ! فقال الوالي صدقت يا أبا الحارث ...

و عن يَحْيَى بن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : الذي يعملُه النمام في ساعة ، لا يعملُه الساحر في شهر.^(١)

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ١٧٨) .

القاعدة الثامنة عشر :

اجتنب الغيبة فهي مفتاح النميمة

معصية تتبعها معصية ويترتب عليها كلام وآثام .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ " . قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ! قَالَ : " أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ " ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا ذَكَرْتُ ؟ قَالَ : " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا ذَكَرْتُ ؛ فَقَدْ اغْتَبَتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا ذَكَرْتُ ؛ فَقَدْ بَهَتَهُ " .^(١)

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " خَصَالُ سِتٍّ ؛ ما من مسلم يموت في واحدة منهن ؛ إلا كان ضامناً على الله أن يدخل الجنة ، - فذكر منها : - ورجل في بيته لا يغتاب المسلمين ، ولا يحجر إليهم سخطاً ولا نقمة " .^(٢)

فيبدأ الشخص بغيبة أحد إخوانه في مجلس أو مع شخص آخر ، ثم يقوم هذا الشخص بنقل الكلام إلى من تكلموا فيه وعليه ... فتبدأ المعصية بالغيبة وتنتهي بالنميمة .

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩) .

(٢) رواه الطبراني في "الأوسط" وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٢ / ٣) (٢٧٣٩) .

القاعدة التاسعة عشر :

اجتنب سوء الظن وما يتبعه من التجسس والتحسس

حسن الظن بالآخرين وبما يصدر عنهم ومنهم من الأقوال والأفعال والحركات والإشارات له دور كبير جداً في سدّ أبواب المشاكل والنزاعات والخلافات .

وبالمقابل فإن سوء الظن بالآخرين وبما يصدر عنهم ومنهم من الأقوال والأفعال والحركات والإشارات ... إلخ ؛ له دور كبير جداً في فتح أبواب المشاكل والخلافات والعداوات ، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه وتعالى منه ونهانا نبينا صلى الله عليه وسلم عنه ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ لِنَاسٍ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ . الحجرات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ . النجم .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا »^(١).

(١) صحيح البخاري (١٩/٨) (٦٠٦٦) . ومسلم رقم ٢٥٦٣ . (إياكم والظن) احذروا سوء الظن بالمسلمين ولا تحدثوا عن عدم علم ويقين لا سيما فيما يجب فيه القطع. (أكذب الحديث) أي يقع الكذب في الظن أكثر من وقوعه في الكلام . (تجسسوا) من التجسس وهو البحث عن العورات والسيئات وبواطن الأمور . (تحسسوا) من التحسس وهو طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة عنه . والمراد النهي عن ظن السوء ، قال الخطابي : هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهيج في النفس فإن ذلك لا يُملك ، ومراد الخطابي أن المحرم في الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر ، فإن هذا لا يُكلف به (ولا تحسسوا ولا تجسسوا) قال العلماء : التحسس الاستماع لحديث القوم والتجسس البحث عن العورات ، وقيل هو التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر والجاسوس صاحب سر الشر ، والناموس صاحب سر الخير .

فلا يزال الشخص يسيء الظن حتى يحمله ذلك على التجسس وتتبع الأخبار والأحوال حتى يحقق ظنه ، ويتتبع العورات ويلتقط العثرات حتى يثبت ظنونه فيفسد ولا يصلح ويضر ولا ينفع وربما أدى به ذلك إلى الوسوسة والتوهّمات والخيالات ، ويستغله الشيطان حتى يفسد عليه حياته وحياة غيره ، خاصةً مع الزوجة والأولاد .

عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **« إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ؛ أَفْسَدْتَهُمْ ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ »** .

قَالَ : يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةً سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا .^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ ، وَيَنْسَى الْجَذَعَ فِي عَيْنِهِ ! »** .^(٢)

قبيحٌ من الإنسان ينسى عيوبه ويُبصرُ عيباً في أخيه قد اختفى

ولو كان ذا عقلٍ لما عاب غيره وفيه عيوبٌ لو رآها به اكتفى

قال **أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ** : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عَنْ عيوب الناس ، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه ، فإن من اشتغل بعيوبه عَنْ عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فكلما اطلع على عيب لنفسه هانَ عَلَيْهِ مَا يَرَى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عَنْ عيوب نفسه ؛ عَمِيَ قلبه وتعب بدنه وتعذرَ عَلَيْهِ ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجز منه من عابهم بما فيه ، من عاب الناس عابوه ...

(١) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/ ٢٤٩) (٥٧٣٠) . وصححه الألباني ((التعليق الرغيب)) (٣/ ١٧٧) .

(٢) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/ ٢٥٠) (٥٧٣١) . وصححه الألباني (الصحيحة - ٣٣) .

ولقد أحسن الذي يقول :

- إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يسترُ
وقد قالَ في بعض الأقاويل قائلٌ له منطقٌ فيه كلامٌ مُحَبَّرُ
إذا ما ذكرتَ الناس فاترك عيوبهم فلا عيب إلا دون ما منك يذكرُ
فإن عبت قومًا بالذي ليس فيهم فذلك عند الله والناس أكبرُ
وإن عبت قومًا بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور من هو أعور
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكرُ
متى تلتمس للناس عيبًا تجد لهم عيوبًا ولكن الذي فيك أكثرُ
فسالمهم بالكف عنهم فإنهم بعيبك من عينيك أهدى وأبصرُ

(١)

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٥) .

القاعدة العشرون :

غض الطرف والتغافل عن الإساءة ، والإعراض عن المسيء

غض الطرف عن بعض الأخطاء والتغافل عن الزلات والإساءات ، والإعراض عن المسيء خلق رفيع لا يوفق له إلا من وفقه الله وسلّم قلبه ووسع صدره وأنار دربه ، وهي من أعظم قواعد التعامل التي لو اتبعناها وعملنا بها سلمنا من مشاكل وشور كثير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) وَإِنَّمَا يَزْنِ عَنْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ الأعراف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ ﴾ (٥٥) القصص.

قَالَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعِزُّ الَّذِي لَا ذُلَّ فِيهِ سُكُوتُكَ عَنِ السَّفِيهِ ، عَطْبُ السَّفِيهِ بِيَدِهِ وَفِيهِ (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (١٣) الفرقان.

وَأَغْضُ طَرْفِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَإِنِّي عَلَى تَرْكِ الْغَمُوضِ قَدِيرٌ
وَمَا مِنْ عَمَى أَغْضِي وَلَكِنْ لَرُبَّمَا تَعَامَى وَأَغْضَ الْمَرْءُ وَهُوَ بَصِيرٌ
وَأَسْكُتُ عَنْ أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْمَقَالِ أَمِيرٌ
أُصْبِرُ نَفْسِي بِاجْتِهَادِي وَطَاقَتِي وَإِنِّي بِأَخْلَاقِ الْجَمِيعِ بَصِيرٌ

فليس كل ما يقال لك أو عليك يستحق الرد ! فلربما كان أفضل رد وأقوى ردّ على الإساءة هو التجاهل وعدم الرد ...

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١١/ ٢٧) (٨٠٩٨).

فإن كان الشخص كريماً كان أفضل ردّ عليه ألا تقابل الإساءة بالإساءة ؛ وبهذا تملكه فيندم .
وإن كان سفيهاً كان أقسى ردّ عليه عدم الرد وعدم المبالاة به فيشعر بهوانه وحقارته .

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوتُ

إذا كلمته فرّجت عنه وإن خليته كمداً يموتُ

ولا يصلح للصدر إلا واسع الصدر ... أما الرد على السفيه بمثله ، وعلى الفاحش بفحشه ، فهو كمثل من نبح عليه كلبٌ فناجحه ومن عظه كلبٌ فعظه !!! وهل يفعل ذلك عاقل ؟! ولماذا يطلب العلم إذا ؟! ومتى تعرف أخلاق الكرام من أخلاق اللّثام ؟!

وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً فهناكُم وافق الشَّنْ الطبق

إنما الفحش ومن يعتاده كغرابِ السّوء ما شاء نطق

أو حمار السّوء إن أشبعته رمع الناس، وإن جاع نهق

أو غلام السّوء إن جوّعته سرق الجار، وإن يشبع فسق

أو كغیری رفعت من ذيلها ثم أرخته ضراراً فانمّزق

أيها السائل عما قد مضى هل جديدٌ مثل ملبوس خَلِق

عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَهُ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ : **« بئس الرجل - أو بئس ابنُ العَشِيرَةِ - ! فَلَمَّا دَخَلَ ؛ انْبَسَطَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا خَرَجَ ؛ كَلَّمَتْهُ عَائِشَةُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قُلْتُ : « بئس الرجل - أو بئس ابنُ العَشِيرَةِ - ! » ، فَلَمَّا دَخَلَ ؛ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ ؟! فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ ! شَرُّ النَّاسِ : مَنْ يَتَّقِي النَّاسَ فُحْشَهُ » .^(١)**

(١) رواه البخاري (٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١) .

قال العلامة **المفسر السعدي** رَحِمَهُ اللهُ : فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته، وفضحه بين العباد وأظهر للناس عيوبه التي كان يخفيها، ومن تغافل عن عيوب الناس وأمسك لسانه عن تتبع أحوالهم التي لا يحبون إظهارها سلم دينه وعرضه، وألقى الله محبته في قلوب العباد وستر الله عورته، فإن الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد. ^(١)

عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاعِيِّ، قَالَ : سَمِعْتُ **عُثْمَانَ بْنَ زَائِدَةَ** ، يَقُولُ : لِلْعَافِيَةِ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، تَسَعُهُ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ، قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ : لِلْعَافِيَةِ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ. ^(٢)

كان **الْأَعْمَشُ** رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : جَوَابُ الْأَحْمَقِ السُّكُوتُ عَنْهُ .

وَقَالَ : السُّكُوتُ جَوَابٌ، وَالتَّغَافُلُ يُطْفِئُ شَرًّا كَثِيرًا، وَرِضَا الْمُتَجَنِّي غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ، وَاسْتِعْطَافُ الْمُحِبِّ عَوْنٌ لِلظَّفَرِ، وَمَنْ غَضِبَ عَلَى مَا لَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ طَالَ حُزْنُهُ. ^(٣)

قَالَ **الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ** : ثَلَاثَةٌ لَا يَنْتَصِفُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ : حَلِيمٌ مِنْ أَحْمَقٍ، وَبَرٌّ مِنْ فَاجِرٍ، وَشَرِيفٌ مِنْ دَنِيءٍ. ^(٤)

(١) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات (ص: ١١١) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٥٧٥ / ١٠) .

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٢٨ / ١١) .

(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٢٩ / ١١) .

القاعدة الحادية والعشرون :

اترك الاعتداد بالنفس والإعجاب بالرأي واتباع الهوى

إن الشخص إذا أعجب بنفسه ورأيه لم يقبل آراء الآخرين وحجّر عليهم الخيارات وضيق عليهم ما اتسع من الأمور؛ وهذا يفتح أبواب المشاكل والخلافات والنزاعات .

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال : **« ثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ؛ ... وأما المهلكات : فَشَحْ مطاع ، وهوى متَّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه »** .^(١)

عندما يُرَيَّنُ للإنسان سوءُ عمله ويتبع هواه ! فإنه لا يبالي بأحدٍ ، ولا يحافظ على ودِّ ولا صداقه، يصعب التعامل والتفاهم معه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(٨) فاطر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّهِ كُنَّ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ^(١٤) محمد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٢٣) الجاثية .

فلا بُد من مراعاة اختلاف وجهات النظر ، وتفاوت الأفهام والعقول .

ولا بُد من قبول الحق إذا جاء من الآخرين ، والاعتراف لهم به .

ولا بُد من الاعتراف بالخطأ ، والتراجع عنه إذا ظهر للإنسان في رأيه أو قوله أو فعله .

ولا بُد من مراعاة ما يسوغ فيه الخلاف ويتسع فيه الأمر ، وما كان عكس ذلك .

ولا بُد من مراعاة الأدب مع الآخرين في الكلام ، والحوار والنقاش .

وإن كان هناك نقدٌ فليكن بناءً ولا يكن هدامًا .

^(١) قال الألباني رواه البزار - واللفظ له-، والبيهقي وغيرهما. وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال ، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى . صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣١٢) (٤٥٣) . (السَّيِّئَات) جمع سَيِّئَةٍ، وهي شدة البرد.

القاعدة الثانية والعشرون :

أقلل من الكلام واطرک المرء والجدل العقيم ...

فإن الحرب مبدؤها كلام

كثرة الكلام تُوقِعُ في الخطأ والزلل ، وقد تثير المشاكل والحروب ومبدؤها من الجدل .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْغُولًا ﴾ (٣٦)

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ ﴾ (١٨) [ق] .

قال السعدي رحمه الله في "تفسيره" : من ملك لسانه ، ملك جميع أمره .^(١)

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الشجعان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ اللَّهُ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ : أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ : قِيلٌ وَقَالَ ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ " .^(٢)

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طوبى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ » .^(٣)

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! ما النجاة ؟ قال : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ » .^(٤)

(١) تفسير السعدي = تفسير الكرمي الرحمن (ص : ٤٦٠) .

(٢) صحيح مسلم (١٧١٥) والبخاري بنحوه (١٤٧٧) .

(٣) رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" ، وحسن إسناده . وقال الألباني [حسن لغيره] صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢) (٢٧٤٠) .

(٤) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي ؛ وقال الترمذي : "حديث حسن" . وقال الألباني [صحيح لغيره] صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢) (٢٧٤١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنك لن تزال سالمًا ما سكّيت ، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك »^(١).
وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ **رضي الله عنه :** « وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ . أَوْ قَالَ : عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ »^(٢).

يموت المرء من عشرة بلسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل
 فعشرة الرجل تبرأ على مهل وعشرة بلسانه ترديه في القبر
قال الشافعي رحمه الله : إذا أراد الإنسان أن يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه ، فإن ظهرت المصلحة تكلم ، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر .
قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : الكلام كالدواء ، إن أقللت منه نفع ، وإن أكثرته منه قتل .
وقال علي رضي الله عنه : إذا تمّ العقل ، نقص الكلام .

فإن النار من عودين تُذكى وإن الحرب أولها الكلام

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبَبَيْتٍ في وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا ، وَبَبَيْتٍ في أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ »^(٣).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ » . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ)^(٤).

قال الشَّعْبِيُّ رحمه الله : الْمِرَاءُ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَيَحُلُّ الْعُقْدَ الْوَثِيقَةَ^(٥).

^(١) رواه الطبراني والبيهقي، عن معاذ **رضي الله عنه**، وحسنه الألباني **رحمه الله** في "صحيح الترغيب" (٢٨٦٦).

^(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، عن معاذ **رضي الله عنه**، وصححه الألباني **رحمه الله** في "الجامع" (٥١٣).

^(٣) رواه أبو داود واللفظ له، وابن ماجه والترمذي وقال : "حديث حسن". وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩ / ٣) ٢٦٤٨.

^(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ . وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ (٦٣ / ١) ١٨٠ - [٤١] .

^(٥) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٨ / ١١) (٨٠٧٨) .

قال **بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ .^(١)
وعن **يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ **سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ وَالْمِرَاءَ ،
فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ ، وَهُوَ يَهْبِجُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ .^(٢)

وعن **الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ** رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ **الشَّافِعِيَّ** رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُفْسِدُ
الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ .^(٣)

وعن **جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّهَا تَشْغُلُ الْقَلْبَ وَتُورِثُ
التَّفَاقُ .^(٤)

^(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٧ / ١١) (٨٠٧٧) .

^(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٧ / ١١) (٨٠٧٦) .

^(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٤١ / ١١) (٨١٢٨) .

^(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٤٢ / ١١) (٨١٣٠) .

القاعدة الثالثة والعشرون : اجتنب كثرة المزاح

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : « قال العلماء : المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط، ويداوم عليه، فإنه يُورَثُ الضحك، وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى، والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، أو يورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار.

قال : فأما ما سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلُه في نادر من الأحوال للمصلحة، وتطبيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا منع منه قطعاً، بل هو سنة مستحب إذا كان بهذه الصفة ^(١) . اهـ

• ومن أمثلة المزاح المستحب والذي ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ - يُقَالُ لَهُ : زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ - كَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «^(٢) إِنْ زَاهِرًا بَادِيْنَا ، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ » ، قَالَ : فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ - وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ - ؛ فَقَالَ : أَرْسَلْنِي ، مَنْ هَذَا ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «^(٣) مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ ؟ » ، فَقَالَ زَاهِرٌ : تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَاسِدًا . قَالَ : «^(٤) لَكِنَّكَ - عِنْدَ اللَّهِ - لَسْتَ بِكَاسِدٍ » ، أَوْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «^(٥) بَلْ أَنْتَ - عِنْدَ اللَّهِ - غَالٍ » ^(٦) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا ؟ قَالَ : «^(٧) إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » ^(٨) .

(١) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام - ابن الأوزق الغرناطي (٨٩٦) (٩٤٢/٢) .

(٢) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/٢٦٦) . (٥٧٦٠) . صحيح - ((مختصر الشامل)) (٢٠٤) .

(٣) رواه الترمذي وصححه صحيح الأدب المفرد (ص : ١١٦) (٢٦٥/٢٠٠) .

عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمْ الرِّجَالُ»^(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ». قَالَ أَبُو أُسَامَةَ يَعْنِي يَمَازِجَهُ^(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِمُّهُ، فَقَالَ: «أَنَا حَامِلُكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ!». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدٍ نَاقَةٍ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ تَلُدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ»^(٣).

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَيَّ وَقَالَ: «ادْخُلْ» فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلِّكَ» فَدَخَلْتُ. قَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي عَاتِكَةَ: إِنَّمَا قَالَ ادْخُلْ كَلِّي مِنْ صِغَرِ الْقُبَّةِ^(٤).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخَالِطَنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التَّغْيِيرُ»^(٥).

(١) صححه الألباني صحيح الأدب المفرد (ص: ١١٧) (٢٦٦/٢٠١).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ انْظُرْ صَحِيحَ مُخْتَصَرِ الشَّامِلِ (٢٠٠) وَصَحِيحَ الْجَامِعِ رَقْم: (٧٩٠٩).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ صحيح الأدب المفرد (٢٦٨/٢٠٢).

(٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحٍ وَضَعِيفٌ سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ [٥٠٠٠] وَصَحِيحُ ابْنِ مَاجَةَ (٤٠٤٢).

(٥) صحيح البخاري (٣٠/٨) (٦١٢٩) ومسلم (٢١٥٠). وجاء عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - أَحْسَبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التَّغْيِيرُ» نَعْرًا كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبَسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْسُ وَنُضْحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَتَقُومُ خَلْفَهُ فَيَصَلِّي بِنَا.

[ش (ليخالطنا) يلاطفنا بطلاقة الوجه والمزح. (لأخ لي) هو أخوه من أمه أم سليم ابن أبي طلحة رضي الله عن الجميع. (التغير) مصغر نغر وهو طير كالصقور محمر المنقار يسميه أهل المدينة البلبل].

فالمزح والدعابة مؤنس للناس ومريحٌ لهم ومؤلف بين قلوبهم ويرفع الكلفة بينهم ...

ولكن لا بد أن يضبط بضوابطه وهي :

✓ أن يكون بحقٍّ وصدق .

✓ ألا يكثر منه .

✓ أن يكون في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ومع الشخص المناسب وبالأسلوب المناسب .

✓ ألا يكون فيه تعدي أو تجاوز في الألفاظ أو الأفعال .

✓ ألا يكون له مقاصد أخرى ، أو فيه رسائلٌ همزٍ ولمز .

✓ ألا يكون فيه غيبة ولا نيمية ولا سخرية ولا احتقار للآخرين .

أفد طبعك المكدود بالجدِّ راحةً يجمُّ ، وعلَّله بشيءٍ من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

فإذا لم يضبط بضوابطه ويلتزم بآدابه كان مذمومًا وصار مفتاح شرٍّ وعداوة وعليه ينطبق تحذير

السلف من المزاح ...

أما المزاحاة والمرء فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق

إني بلوتهما فلم أحدهما لمجاورٍ جارًا ولا لرفيق

« يحكى عن الحجاج أنه قال **لابن القرية** : ما زالت الحكماء تكره المزاح ، وتنهى عنه ، فقال :

المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح ، المزاح نقائص

السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، المزاح يوغر صدر الصديق ، وينقر الرفيق ، المزاح يبدي السرائر ،

ويظهر المعاييب ، المزاح يسقط المروءة ، ويبيدي الخفى ، لم يجرّ المزاح خيرًا ، وكثيرًا ما جرّ شرًّا ،

الغالب بالمزاح واتر ، والمغلوب به نائر ، والمزاح يجلب الشتم صغيره ، والحرب كبيره ، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة . فقال الحجاج : حسبك ! الموت خير من عفو بعد قدرة ^(١) .

« ويحكى عن خالد بن صفوان : أن المزاح ذُكِرَ بحضرته ، فقال : ينشق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويفرغ عليه مثل الرجل ، ويرميه بمثل الجندل ، ثم يقول : إنما كنت أمزح ^(٢) . »

تلقى الفتى يلقي أخاه وخِـدْنَهُ في لحن منطقته بما لا يغفرُ
ويقول : كنت مـمـازحًا ومـلـاعبًا هيهات، نارك في الحشا تتسعرُ
أو ما علمت وكان جهلك غالبًا أن المزاح هو السباب الأصغرُ

وقيل أنه سمي المزاح مزاحًا لأنه يزيح عن الحق .

وقال **ابن عرفة** : به يسمى المزاح : لأنه أزيح عن الحق ، أي : بوعِد . ^(٣)

وهناك فرقٌ بين المزاح والاستهزاء ؛ « وذلك أنَّ المزاح لا يقتضي تحقيرَ المـمـازَـح ... ولكن ... استثناسه ، ... والاستهزاء يقتضي تحقيرَ المستهزأ به ^(٤) . »

ولا تَمَزَحْ فَإِنَّ الْمَزْحَ جَهْلٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ يَبْدُوهُ الْمُزَاحُ

وعن **عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يبلُغُ العبدُ صريحَ الإيمانِ حتَّى يدعَ المـُزَاحَ والكذبَ ، ويدعَ المِرَاءَ وإنْ كَانَ مُحَقَّقًا ^(٥) . »

(١) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام - ابن الأزرقي الغرناطي (٨٩٦) (٢/ ٩٤٤) .

(٢) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام - ابن الأزرقي الغرناطي (٨٩٦) (٢/ ٩٤٤) .

(٣) الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٨١٥) .

(٤) منهجية القرآني وجهوده في دراسة الفروق في اللغة (ص : ٥٧) .

(٥) رواه أبو يعلى وصححه لغیره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٦) (٢٩٤٠ - ١٧) وقال : وفي أسانيدهم من لا يحضرني حاله، ولمتنه شواهد كثيرة.

قال المحدث الألباني رَحِمَهُ اللهُ: أن المزاح بصورة عامة أمرٌ غير مرغوب فيه ، وغير مشهور ، وتعاطي الإنسان له قد يوقعه في بعض المشاكل .^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ، يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ ؛ يَهْوِي بِهَا مِنْ أْبَعَدَ مِنَ الثَّرَيَّا » .^(٢)

وعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ ، وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ » .^(٣)

كان يقال : لكل شيءٍ بَدْءٌ ، وبَدْءُ العداوةِ المزاحُ .

وكان يقال : لو كان المزاحُ فحلاً ، ما ألقح إلا الشر .

قال سعيد بن العاص رَحِمَهُ اللهُ : لا تمازح الشريف فيحقد، ولا الديني فيجتري عليك .

قال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ : إذا كان المزاح أمام الكلام ؛ فأخره الشتم واللّطام .

قال أبو هفان :

مازح صديقك ما أحب مَزَاحًا وتوق منه في المزاح جمَاحًا

فلربما مزح الصديق بمَزْحَةٍ كانت لباب عداوةٍ مفتاحًا^(٤)

(١) تفرغ «سلسلة الهدى والنور - الإصدار الجديد» للشيخ الألباني (١٠٧٩/٧) .

(٢) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٢٣/٨) (٥٦٨٦) . حسنه ((الصحيحة)) (تحت ٥٤٠) وينحوه (٥٦٧٦) .

(٣) رواه أبو داود والترمذي - وحسنه - والنسائي والبيهقي ، وحسنه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (١٢٧/٣) (٢٩٤٤) .

(٤) من لطائف ولآلئ (بهجة المجالس وأُنس المجالس) (مرتبا بالآيات والصور) (ص: ١٦٠، بترقيم الشاملة آليا) .

القاعدة الرابعة والعشرون :

وضع الأمور في نصابها

وأقصد به الحكمة بالتعامل مع المواقف والتصرفات والأشخاص :

فالرفق في مكانه ، والشدة في مكانها .

القوة في مكانها ، واللين في مكانه .

البذل في محله ، والمنع في محله .

الكبير في مكانه ، والصغير في مكانه .

الأب العالم الحاكم المسؤول القائد ... والعكس ... كل واحد في مكانه .

والخلاصة هو أن يعطي الموقف حقه بلا زيادة ولا تضخيم ولا تجاوز .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ البقرة.

✓ ويناسب هذا قول **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سئل : ما فساد القوم يا أمير المؤمنين ؟

قال : فساد القوم في ثلاثة : وضع الجاهل مكان العالم ، ووضع الصغير مكان الكبير ، ووضع التابع مكان القائد .

القاعدة الخامسة والعشرون : اعدل بين أولادك

لا بد من العدل بين الأولاد حتى تستقيم المعاملة معهم ويستقيم البر منهم ؛ فكثيراً من المشاكل والخلافات الأسرية يكون سببها عدم العدل بين الأولاد :

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما يقول وهو على المنبر : **« أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أَرْضِي حتى تُشْهَد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأُتِيَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال (أعطيت سائر ولدك مثل هذا) قال : لا ، قال : (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) قال فرجع فرد عطيته»**^(١)
وعن أنس رضي الله عنه قال : كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل ، فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه ، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه ، قال (فَهَلَا عَدَلْتَ بينهما ؟! يعني : الابن والبنت)^(٢) . يقصد في التقبيل .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« اْعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ »** .^(٣)
وعن النعمان بن بشير : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« سُوُوا بين أولادكم في العطية كما تحبون أن يُسووا بينكم في البر »** .^(٤)

(١) رواه البخاري (٢٤٤٧) .

(٢) أخرجه الطحاوي في "شرح المعاني" (٢٤٦/٢) ، وابن عساكر في "التاريخ" (٦٠١/٤ - مصورة المدينة) . وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٣/٧) (٣٠٩٨) .

(٣) صحيح البخاري (١٥٧/٣) .

(٤) السلسلة الصحيحة الكاملة (٢٦/٩) أخرجه البيهقي (١٧٨/٦) ، ومسلم (٦٦/٥ - ٦٧) نحوه ، وابن حبان (٥٠٨٢) .

وقد استدلل به الطحاوي رحمه الله لقول أبي يوسف رحمه الله : إنه يسوي في العطية بين الأنثى والذكر ؛ خلافاً لمحمد بن الحسن رحمه الله الذي قال : بل يجعلها على قدر الموارث للذكر مثل حظ الأنثيين ، فردّه الطحاوي بما رواه بالسند الصحيح عن النعمان بن بشير : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **« سُوُوا بين أولادكم في العطية كما تحبون أن يُسووا بينكم في البر »** .

وقد يسبب ميلان الأب بالمحبة إلى أحد الأبناء كراهية ومشاكل له مع إخوته فيضر ابنه بدل أن ينفعه وهذا حاصلٌ ومشاهدٌ بين الناس ، وما إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وما حصل منهم بيوسف عنا ببعيد ... قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِّينَ ۖ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ يوسف .

ومثله في القياس العالم أو الشيخ أو المعلم مع طلابهم لا بد أن يحرصوا على العدل في المعاملة معهم ، وكذلك الراعي مع الرعية .
ومثله في القياس أيضًا الزوج في تعامله مع زوجته .

قال أبو جعفر: "فيه دليل على أنه أراد من الأب لولده ما يريد من ولده له ، وكان ما يريد من الأنثى من البر مثل ما يريد من الذكر ، فأراد النبي - صلى الله عليه وسلم - منه لهم من العطية للأنثى مثل ما أراد للذكر".
ثم إن العدل المذكور بين الأولاد قد اختلفوا في حكمه ؛ فمن قائل : بأنه واجب ، ومن قائل : بأنه مستحب ، وهذا مذهب الحنفية ، وانتصر له الطحاوي ، والحق الوجوب كما فصله الحافظ في "الفتح" ؛ فليرجع إليه من شاء البسط ، ويكفي للدلالة على ذلك أن راوي الحديث - وهو النعمان بن بشير رضي الله عنه - قال في بعض الطرق الصحيحة عنه : "فرجع أبي ، فرد تلك الصدقة" .
أخرجه الشيخان ، وهو مخرج في "الإرواء" (٤١/٦) . انظر السلسلة الصحيحة الكاملة (٢٦/٩)

القاعدة السادسة والعشرون : تصفية القلوب وتطهيرها

لصفاء القلوب وطهارتها وسلامتها دورٌ كبيرٌ في دفع المشاكل ورفعها والعفو والصفح عن المخطئ وحسن الظن بالآخرين .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد قيل له : أي الناس أفضل؟. قال : « كُلُّ مُحْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقُ اللِّسَانِ » . قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ ، فَمَا مُحْمُومُ الْقَلْبِ؟. قَالَ : « هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، لَا إِثْمَ فِيهِ ، وَلَا بَغْيٍ ، وَلَا غِلٍّ ، وَلَا حَسَدٍ »^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وما رأيت أحداً قطُّ أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - ، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول : (وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه ! وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قطُّ ، وكان يدعو لهم) .

قال : (وجئت يوماً مبشراً له بموتٍ أكبرٍ أعدائه ، وأشدَّهم عداوةً وأذىً له ، فنهري ، وتنكر لي واسترجع . ثم قام من فوره إلى أهل بيته - أي ذلك الخصم الذي مات - فعزَّاهم ، وقال : (أنا لكم مكانه ، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدةٍ إلا وساعدتكم فيه) ... فسُروا به ودعوا له ، وعظّموا هذه الحال منه ، فرحمه الله ورضي عنه) .^(٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ الشعراء.

قال **أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ :** وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْقَلْبُ سَلِيمًا إِذَا كَانَ حَقُودًا حَسُودًا، مُعْجَبًا مُتَكَبِّرًا، وَقَدْ شَرَطَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ بِرَحْمَتِهِ .^(٣)

^(١) رواه ابن ماجه ، وصحح الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ إسناده في "الصحيحة" برقم (٩٤٨) عن عبد الله بن عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُمَا.

^(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٢٩ / ٢) .

^(٣) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٤٥٩ / ٣) .

القاعدة السابعة والعشرون :

احذر من التدخلات الخارجية

بعض التدخلات الخارجية من بعض الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء في الحياة الزوجية أو العلاقات الأخوية أو الدعوية قد يفسدها ، ويسير بها إلى طريق آخر غير الذي وجدت من أجله .
فلكل علاقة طبيعتها الخاصة التي لا بد أن يحافظ عليها ، خاصة الحياة الزوجية ، فإن لها أسراراً لا ينبغي أن يطلع عليها غير الزوجين ، وإذا خرجت أفسدت .

ويكفينا وصف الله تعالى لهذه العلاقة الحساسة والعميقة بقوله : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ البقرة: ١٨٧ وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم: ٢١

فهناك بعض من لا دين لهم ولا أخلاق معهم من الأقارب أو من الجيران أو من الأصدقاء أو ربما من زملاء العمل ، يحاولون الوقيعة بين الرجل وزوجته بغرض إفساد العلاقة بينهما ، وتشتيت الأسرة وضياعها ، وقد يكون تدخلهم عن حسن نية ! ولكنهم لا يحسنون صنعا .

ولقد حذرنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك فقال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ » (١).

قال عثمان بن عطاء : كان **أبو مسلم الخولاني** إذا دخل منزله سلّم ، وإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته ، فإذا بلغ البيت كبر وكبرت امرأته . فيدخل فينزِع رداءه وحذاءه وتأتيه امرأته بطعام فيأكل . فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه ، ثم أتى البيت فكبر وسلم فلم تجبه ، وإذا البيت فيه سراج ، وإذا هي جالسة بيدها عود تنكت به في الأرض . فقال لها : مالك ؟ فقالت : الناس كلهم بخير ، وأنت أبو مسلم !! - تعني فقير - فلو أنك أتيت معاوية ، فيأمر لنا بخادم ، ويعطيك شيئاً نعيش

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَصَحَّه الْأَلْبَانِيُّ فِي (الصَّحِيحَةِ - ٣٢٤) ، (صَحِيحُ أَبِي دَاوُدَ - ١٨٩٠) .

به ... فقال أبو مسلم : اللَّهُمَّ من أفسد عليَّ أهلي فأعم بصره . قال : وكانت أيتها امرأة فقالت : أنت امرأة أبي مسلم، فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم !! قال : فبينما هذه المرأة في بيتها والسراج يزهر، إذ أنكرت بصرها . فقالت : سراجكم طفئ ؟ قالوا : لا قالت : إنا لله! ذهب بصري ، فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم، فرقَّ لحالها ، ودعا الله طويلاً فرد إليها بصرها، ورجعت امرأته إلى حالها .^(١)

إن اعتماد الزوجين على أنفسهما في حل مشاكلهما هي أفضل طريقة لسعادتهما ودليل النضج النفسي والتفاهم بينهما، ويجب ألاَّ يلجأ الزوجان أبداً إلى عرض مشاكلهما على الأهل أو الأصحاب إلا إذا استعصى الأمر بينهما، وأصبح التدخل لا بديل عنه ولا مفر منه ، وعلى الزوجين أن يتذكرا أن بينهما جزءاً كبيراً من الحب والمودة والعشرة والذكريات الجميلة لن يشعر به الآخرون عند الحكم بينهما ، لأن الأزواج في حالة الخلاف يعرضون دائماً الجانب السيئ من العلاقة، وبالتالي سيكون حكم المتدخلين على هذا الجانب دون مراعاة الجانب الآخر، وعندها سيكون الحكم غير سليم ولا مناسبٍ للواقع ولمصلحة الزوجين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .^(٢)

وليس تدخل الأهل أو الأصدقاء شراً كله ، بل أحياناً قد يحتاج الزوجان إلى هذا التدخل ، وبخاصة إذا كان من أهل الصلاح ، وأهل الحكمة ، والعقل ، والتعقل ، والشواهد على ذلك كثيرة . وهذا الذي ذكرناه في حق الزوجين ينطبق على كثيرٍ من العلاقات الأخرى التي يكون سبب فسادها التدخلات الخارجية فيها ... فلا بد من التنبيه لذلك .

(١) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٣٠/٢ ، ابن الجوزي : صفة الصفوة ٤/٢١٢ .

(٢) رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَابْنُ حَبَانَ ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّعْلِيقَاتِ الْحَسَنَةِ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ (٣٠٢/١) (٢٢٩) . و (المشكاة) (٤٨٣٩) و (الروض النضير) (٢٩٣ و ٣٢١) .

القاعدة الثامنة والعشرون : لا تعمل ما تندم عليه

على المسلم أن يتجنب الأعمال والأقوال التي يندم على عملها ، ويحتاج أن يعتذر من فعله لها ووقوعه فيها ، وليس يحسن هذا إلا من كان عاقلاً بصيراً بعواقب الأمور ومآلاتها ، أما من كان مندفعاً ومتهوراً فإنه لا يشعر بالخطأ إلا بعد وقوعه فيه وحصوله منه .

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إياك وكل أمر يعتذر منه » ^(١) .
قال أبو عبد الرحمن : قلتُ **لإبراهيم بن ثابت الدَّعَاءُ** لَمَّا أَرَدْتُ الخُرُوجَ مِنْ بَغْدَادَ : « أَوْصِنِي » ،
فَقَالَ : « دَعُ مَا تَنْدَمُ عَلَيْهِ » ^(٢) .

وَرَدَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عَلَى عَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَكَانَ عَلَى خِلَافَتِهِ بِهَا ، فَقَالَ صَعَصَعَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ أَخَذَ بِثَلَاثٍ ، وَتَارِكٌ لِثَلَاثٍ : أَخَذَ بِقُلُوبِ الرِّجَالِ إِذَا حَدَّثَ ، وَبِحُسْنِ الْإِسْتِمَاعِ إِذَا حَدَّثَ ، وَبِأَيْسَرِ الْأُمُورِ إِذَا حُولِفَ ، تَارِكٌ لِلْمِرَاءِ ، وَتَارِكٌ لِمُقَارَبَةِ اللَّئِيمِ ، وَتَارِكٌ لِمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ^(٣) .

(١) رواه الضياء في " المختارة " (١٣١ / ١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٢٠ / ١) (٢٦٧١) وقال : حسنه ابن حجر وهو نادر في مفاريد مسند الفردوس فإن أكثرها ضعاف . الصحيحة ٣٥٤ ، ١٤٢١ .

(٢) الزهد الكبير للبيهقي (ص : ٢٠٧) (٥١٦) .

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٣٩ / ١١) (٨١٢٤) .

القاعدة التاسعة والعشرون :

استعمل المداراة مع الناس

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ : « المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي : خفض الجناح للناس ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة » ^(١) .

وقيل " المداراة " : بذل الدنيا لصلاح الدين والدنيا ، أو هما معاً ، وهي مباحة وربما استحبت ، والمداهنة : ترك الدين لصلاح الدنيا . ^(٢)

المُداراة : الملاطفة ، وبالهزمة بعد الرأء مدافعة ذي الحق عن حقه .
والمُداهنة : هي أن ترى مُنكَرًا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظًا لجانب مرتكبه ، أو جانب غيره ، أو لقلّة مبالاة الدين . ^(٣)

ما دمت حيًّا فدارِ الناسَ كلّهم فإنما أنت في دارِ المداراةِ
من يَدْرِ دَارِي ومن لم يَدْرِ سوف يَرَى عما قليلٍ نديمًا للنَّدَامَاتِ

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ : « ائْذِنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ » . فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ ! فَقَالَ : « أَيُّ عَائِشَةٍ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ فُحْشِهِ » ^(٤) .

ومن المداراة : إذا حدّث محاروك بكلامٍ غريبٍ ألا تبادر إلى تكذيبه وتفنيد قوله ، فهذا الصنيع لا يحسن أبدًا ، فعليك أن تحسن في اختيار الجواب له .

^(١) "فتح الباري" (١٠ / ٥٤٥) .

^(٢) مجمع بحار الأنوار (٥ / ٤٢١) .

^(٣) التعريفات الفقهية (ص : ١٩٩) .

^(٤) رواه البخاري برقم (٦٠٥٤) ، ومسلم برقم (٦٥٩٦) .

قال **عبدالله بن عمرو بن العاص** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** : « ثلاثة من قریش أحسنها أخلاقاً، وأصبحها وجوهاً، وأشدّها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك : أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح ^(١) .

قال **أبو حاتم** **رَحِمَهُ اللَّهُ** : « من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب، كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد، وترك الشحناء ، ومن لم يدار صديق السوء كما يداري صديق الصدق ليس بحازم ، ولقد أحسن الذي يقول :

تَجَنَّبَ صَدِيقَ السَّوِّءِ وَاصْرِمَ حِبَالَهُ وإن لم تجد عنه محيصاً فداره
وأحب حبيبَ الصديقِ واحذر مِرَاءَهُ تنل منه صفو الودِّ ما لم تماره ^(٢) .

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ قَالَ : قَالَ **أَبُو الدَّرْدَاءِ** **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لَأُمِّ الدَّرْدَاءِ : « إِذَا غَضِبْتُ فَرِضْنِي ، وَإِذَا غَضِبْتَ رَضِيتُكَ ، فَإِذَا لَمْ نَكُنْ هَكَذَا مَا أَسْرَعَ مَا نَفْتَرِقُ » ^(٣) .

وقال **العتابي** **رَحِمَهُ اللَّهُ** : « المداراة سياسة لطيفة، لا يستغني عنها ملك ولا سوقة، يجتلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فمن كثرت مداراته، كان في ذمة الحمد والسلامة ^(٤) » .

وقال **الحسن** **رَحِمَهُ اللَّهُ** : « حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة ^(٥) » .

^(١) "عيون الأخبار" (٢/ ٢٣).

^(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٧٢) .

^(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٧٢) .

^(٤) "عين الأدب والسياسة" (ص: ١٥٤).

^(٥) "عيون الأخبار" (٣/ ٢٢).

وقال **ابن الحنفية** رَحِمَهُ اللهُ : « ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدءاً، حتى يأتيه الله بالفرج والمخرج »^(١).

وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللهُ :

إني أحيي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشا قلبي محبات

قال **أبو الدرداء** رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ : « إنا لنكثّر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم »^(٢).

قال **مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَاكِ** رَحِمَهُ اللهُ : مَنْ عَرَفَ النَّاسَ دَارَاهُمْ، وَمَنْ جَهِلَهُمْ مَارَاهُمْ، وَرَأْسُ الْمُدَارَةِ تَرَكَ الْمُمَارَةَ^(٣).

قال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ اللهُ : « إذا رأيت من أخيك عيباً فإن كتمته عليه فقد خنته، وإن قلته لغيره فقد اغتبتته، وإن واجهته به فقد أوحشته ، قيل له : كيف أصنع ؟ قال : تَكْنِي عنه وتُعَرِّضْ به، وتجعله من جملة الحديث ».

فاحرص أخي العزيز على سياسة مداراة الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ما لم تجرّك إلى إثم أو معصية ولم تصل إلى المداينة المحرمة .

قال **أَبُو حَاتِمٍ** رَحِمَهُ اللهُ : " الْمُدَارَةُ الَّتِي تَكُونُ صَدَقَةً لِلْمُدَارِي هِيَ تَخْلُقُ الْإِنْسَانَ الْأَشْيَاءَ الْمُسْتَحْسَنَةَ مَعَ مَنْ يُدْفَعُ إِلَى عِشْرَتِهِ مَا لَمْ يَشُبْهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ .
وَالْمُدَاهَنَةُ : هِيَ اسْتِعْمَالُ الْمَرْءِ الْخِصَالِ الَّتِي تُسْتَحْسَنُ مِنْهُ فِي الْعِشْرَةِ وَقَدْ يَشُوبُهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا " ^(٤).

(١) "روضة العقلاء" (ص ٧٠).

(٢) صحيح البخاري (٣١ / ٨).

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٣٦ / ١١) (٨١١٨).

(٤) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٦٢ / ١).

- قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ :

" **المداهنة** أن تخالف الدين في سبيل المداراة ، و**المداراة** ليس فيها مخالفة في الدين وإنما هو التلطف بالكلام أولاً، ثم تحاشي مصادمة الظالم ومواجهته إذا كان يترتب من وراء ذلك مفسدة؛ فهذا هو الفرق بين المداهنة والمداراة؛ المداهنة تتطلب مخالفة الشريعة وهذا لا يجوز؛ والمداراة إنما هو أن يضع كل شيء في محله دون مخالفة للشريعة " ^(١).

" **وقيل** : حسن الخلق أن تكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريباً . **وقيل** : حسن الخلق احتمال المكروه بحسن المداراة . وقال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال ، وقال **يحيى بن معاذ** الرازي : سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات " ^(٢).

" قَالَ الْعُلَمَاءُ **المداراة** سنة و**المداهنة** مَعْصِيَّةٌ ، قَالَ ابْنُ قِيمٍ الْجُوزِيَّةُ : وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَدَارِيَّ يَتَلَطَّفُ بِصَاحِبِهِ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْحَقَّ أَوْ يَرُدَّهُ إِلَيْهِ أَوْ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَالْمَدَاهِنُ يَتَلَطَّفُ بِهِ لِيُقِرَّهُ عَلَى الْبَاطِلِ وَيَتْرَكَهُ عَلَى هَوَاهُ . قَالَ فَاَلْمَدَارَاتُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْمَدَاهِنَةُ لِأَهْلِ التَّفَاقُ .

تَمَثِيل وَقَدْ ضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا مُطَابِقًا : وَهُوَ رَجُلٌ بِهِ قَرَحَةٌ عَرَفَ حَالَتَهَا الطَّبِيبُ الْمَدَارِيُّ الرَفِيقُ فَلِينَهَا حَتَّى نَضِجَتْ ثُمَّ بَطَّهَا بِرَفْقٍ ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهَا الْمَرْهَمَ حَتَّى مَنَعَ فَسَادَ مَوْضِعِهَا وَنَبَتَ فِيهِ اللَّحْمُ ثُمَّ رَدَّ عَلَى مَا نَبَتَ مِنْهُ مَا نَشَفَتِ الرُّطُوبَةُ عَنْهُ إِلَى أَنْ تَمَّ بَرُؤُهَا ، وَالْمَدَاهِنُ يَقُولُ لِصَاحِبِهَا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ هِيَ لَا شَيْءَ فَأَلْهَ عَنْهَا ، فَلَمْ تَزَلْ مَادَتُهَا تَقْوَى وَتَسْتَحْكَمُ حَتَّى عَظُمَ فَسَادُهَا " . اهـ ^(٣)

فعليك باحترام الآخرين، ومراعاة مشاعرهم، والتودد لهم، حتى تَسُدَّ أبواب الفتن والمشاكل وتدفع الخلافات المحتملة وترفع الخلافات الحاصلة .

ولكن احذر من التوسع والتبرير للمداراة حتى تقع في المداهنة ، وربما استخدم بعضهم التُّقْيَةَ والكذب .

(١) تفرغ «سلسلة الهدى والنور» للشيخ الألباني - الإصدار ٤ (١٣/٨) .

(٢) سراج الملوك (ص: ١٤٦) .

(٣) بدائع السلك في طبائع الملك (٢/١٧) .

القاعدة الثلاثون :

الصدق والصراحة والوضوح في العلاقات والمواقف

من الأمور المهمة في تحديد العلاقات بين الناس وتمييزها ومعرفة درجتها ومكانتها أن يكون الشخص صادقاً في مشاعره تجاه الآخرين ، صادقاً في كلامه معهم ، واضحاً في مواقفه منهم ، صريحاً فيما يَكُنُّه للآخرين ، صريحاً في نصحه وتقويمه لمن حوله ... ، حتى يعرف كل شخص مكانه من الآخر ومكانته عنده ، ويعرف الصواب والخطأ في حياته .

عندما ينعدم الصدق وتموت الصراحة ويغيب الوضوح لا يعرف الإنسان الصديق من العدو، والمحِب من المبغض ، والقريب من البعيد ، والموافق من المخالف ، والناصح من الغاش ، وتنعدم الرؤية الصحيحة والواضحة في العلاقات والصدقات، وتنعدم الثقة بين الناس ويسود سوء الظن بينهم ، ويكون الحذر هو الغالب على علاقاتهم ولقاءاتهم ومواقفهم ... خاصةً مع انتشار ما يسمَّى بالأخلاق التجارية والنفاق السياسي .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ^(١١١) التوبة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لِمَنْ جَنَّتْ يَنۢجَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنتَهُرُ ۚ خَلِّدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(١١٢) المائدة .

قال العلامة العثيمين رحمه الله :

إن الإنسان يجب أن يكون صريحاً بيناً ، لا يظهر للناس بوجه وإذا اختفى عنهم أعطاهم وجهاً آخر ، ولهذا لا أحسن من الشخص الصادق الذي لا يباري ولا يماري ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وهذا هو الواجب على كل مسلم ، أن يكون ظاهره وباطنه سواء .^(١)

قال الله عزَّ وجلَّ عن نبيه صالح عليه السلام : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰٓأَقْوَمُ ۖ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ التَّصٰدِيعَ ﴾ ^(١١٣) الأعراف .

(١) تفسير سورة النساء ١١ / ٢ .

قال **عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ** : لا خير في قوم ليسوا بناصحين ، ولا خير في قوم لا يحبون النصح .^(١)

عَنْ **أَبِي السَّائِبِ** قَالَ : قَالَ عِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَا تُعَامِلْ بِالْخَدِيعَةِ فَإِنَّهَا خُلِقَ اللَّثَامُ ، وَامْحَضْ أَخَاكَ التَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً ، وَسَاعِدْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَزُلْ مَعَهُ حَيْثُ زَالَ .^(٢)

قال **أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ** : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أَنَّ خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصًا ، وضرب الناصح خير من تحية الشاني .^(٣)

عَنْ **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا » .^(٤)

قال **أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ** : فالكذب أصل كل فاحشة ، وجامع كل سوء ، وجالب لمقت الله عز وجل ... وهل الكفر إلا كذبٌ على الله عز وجل ، والله الحق وهو يحب الحق ، وبالحق قامت السموات والأرض .

وما رأيت أخزى من كذاب ، وما هلكت الدول ، ولا هلكت الممالك ، ولا سفكت الدماء ظلمًا ، ولا غطيت الأستار بغير النائم والكذب ، ولا أكدت البغضاء والإحن المردية إلا بنائم لا يحظى صاحبها إلا بالمقت والخزي والذل ، وأن ينظر منه الذي ينقل إليه فضلًا عن غيره بالعين التي ينظر بها من الكلب .^(٥)

(١) الاستقامة ص ١٤٨ .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٧٣) .

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ١٩٥) .

(٤) صحيح مسلم (٢٠١٣ / ٤) (٢٦٠٧) .

(٥) طوق الحمامة لابن حزم (ص : ١٧٥) .

القاعدة الحادية والثلاثون :

أَخْرِجْهُمْ مِنْ دَائِرَةِ اهْتِمَامَاتِكَ

بعد استخدام كل هذه القواعد والمراحل في التعامل مع الأشخاص يبقى هناك أناس أفضل حلّ تقوم به معهم لتسلم من مشاكلهم وخلافاتهم وهمومهم هو أن تخرجهم من دائرة اهتماماتك ؛ فهم لا يصلحون للمحبة ولا للأخوة ولا للصدقة ... فاجعلهم من جملة المعارف الذين لا تقاطعهم وتدابرههم ، وفي نفس الوقت لا تبالي بهم وبما يصدر عنهم ، أو يحصل منهم ولهم .

لا يَغْرُنْكَ صَدِيقٌ أَبَدًا		لك في المنظر حتى تخبره
كم صديق كنت منه في عمى		غَرَّني منه زمانًا منظره
كان يلقاني بوجهٍ طَلَقٍ		وكلامٍ كاللآلي ينثره
فإذا فتشته عَن غيبه		لم أجد ذاك لود يضمـره
فدع الإخوان إلا كل من		يضمـر الود كما قد يظهره
فإذا فزت بمن يجمع ذا		فاجعلنه لك ذخراً تذخره

- قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ :

كان لنا أصدقاء وإخوان أَعْتَدَّ بهم ، فرأيت منهم من الجفاء وترك شروط الصداقة والأخوة عجائب فأخذت أعتب .

ثم انتبهت لنفسي فقلت : وما ينفع العتاب ، فإنهم إن صلحوا فللعتاب لا للصفاء .
فهمت بمقاطعتهم ، ثم تفكرت فرأيت الناس بي معارف وأصدقاء في الظاهر وإخوة مباطنين ، فقلت لا تصلح مقاطعتهم .

إنما ينبغي أن تنقلهم من ديوان الأخوة إلى ديوان الصداقة الظاهرة .
فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملة المعارف ، وعاملتهم معاملة المعارف ، ومن الغلط أن تعاتبهم .

فقد قال يحيى بن معاذ : بسئ الأخ أخٌ تحتاج أن تقول له اذكرني في دعائك .

وجمهور الناس اليوم معارف ويندر فيهم صديق في الظاهر، فأما الأخوة والمصافاة فذاك شيءٌ نسخ فلا يُطمع فيه .

وما أرى الإنسان تصفوله أخوة من النسب ولا ولده ولا زوجته .

فدع الطمع في الصفا . وخذ عن الكل جانباً ، وعاملهم معاملة الغرباء .

وإياك أن تنخدع بمن يظهر لك الود ، فإنه مع الزمان يبين لك الحال فيما أظهره .

وربما أظهر لك ذلك لسبب يناله منك .

وقد قال **الفضيل بن عياض** : إذا أردت أن تصادق صديقاً فأغضبه فإن رأيته كما ينبغي فصادقه .

وهذا اليوم مخاطرة ، لأنك إذا أغضبت أحداً صار عدواً في الحال .

والسبب في نسخ حكم الصفا ، أن السلف كان همتهم الآخرة وحدها فصفت نياتهم في الأخوة والمخالطة فكانت ديناً لا دنيا .

والآن فقد استولى حب الدنيا على القلوب ، فإن رأيت متملقاً في باب الدين ، فأخبره **تَّقْلِهِ** .^(١)

إذا المرء لا يركك إلا تكلفاً	فدعه ولا تُكثر عليه التأسفاً
ففي الناس أبدالاً وفي الترك راحةً	وفي القلب صبراً للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه	ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعةً	فلا خير في ودّ يجيء تكلفاً
ولا خير في خلّ يخون خليله	ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده	ويظهر سرّاً كان في الأمس في خفا
سلاماً على الدنيا إذا لم يكن بها	صديق صدوق صادق الوعد منصفاً

(١) (جامع المواعظ والرفائق فيما حوته كتب ابن الجوزي من فوائد ورقائق) (ص: ١٩٤، بترقيم الشاملة آليا) . أخبره **تَّقْلِهِ** - بفتح اللام وكسرها : أي اختبره واستجد مقولاً فيه هذا المقال .

القاعدة الثانية والثلاثون : ابتعد عنهم ! تسلم وتغنم

وبعد استخدام كل هذه القواعد والمراحل في التعامل مع الأشخاص يبقى هناك أناس لا ينفع معهم للسلامة من شرهم وفتنهم والهروب من مشاكلهم والخلاف معهم إلا الابتعاد عنهم ؛ لأنهم يستغلون أدنى احتكاك لافتعال المشاكل والخلافات أو إغرائك بالفتن التي فتنوا بها والانحرافات التي هم واقعون فيها ، فلا فائدة من قربهم ، ولا سلامة من شرهم وفتنهم وانحرافاتهم ، ولا هروب من مشاكلهم ، إلا بالابتعاد عنهم ... مع بقاء حقوق الإسلام العامة لهم .

هذا بالنسبة لمن ليسوا من الأقارب وذوي الأرحام ، أما إن كانوا من الأقارب والأرحام فلا بد من تحملهم والصبر عليهم أكثر ، واحتساب الأجر في ذلك كله .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسئون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك " .^(١)

قال **ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :** فَإِنَّ الْإِنْعِرَالَ عَنِ النَّاسِ وَلَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ عَلَى بَاطِلٍ مِنْ جُمْلَةِ الْعِبَادَةِ .^(٢)

قال **محمد بن مفلح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :** فَإِذَا أَوْقَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْوَحْشَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ فَإِنَّمَا يَصْرِفُكَ إِلَيْهِ وَيَنْدُبُكَ إِلَى التَّعَلُّقِ بِهِ ، فَأَحْمَدُ إِسَاءَتَهُمْ إِلَيْكَ فَإِنَّهُمْ لَوْ أَحْسَنُوا مَعَكَ الصَّنِيعَ لَقَطَعُوكَ عَنْهُ ؛ لِأَنَّكَ ابْنُ لُقْمَةٍ وَابْنُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ أَذْنَى شَيْءٍ يَقْتَطِعُكَ إِلَيْهِمْ .^(٣)

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧١٧ / ٨) .

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٥٨٤ / ٣) .

قال العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللهُ - : العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة، وأنها قصيرة جدًّا ، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيشج بحياته أن يذهب كثيرٌ منها نهبًا للهموم والأكدار، ولا فرق في هذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل .^(١)

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ ، فَهُمْ الْيَوْمَ شَوْكٌ لَا وَرَقَ فِيهِ .^(٢)

هذا في زمانه ! فكيف لو رأى زماننا !؟ .

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة (ص: ٣٠) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٨٤) .

القاعدة الأخيرة :

لا تتساهل في كسب العداوات

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِيَّاكُمْ وَمُعَادَاةَ الرِّجَالِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْلُونِ مِنْ ضَرَبَيْنِ : مِنْ عَاقِلٍ يَمْكُرُ بِكُمْ، أَوْ جَاهِلٍ يَعْجَلُ عَلَيْكُمْ بِمَا لَيْسَ فِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ ذَكَرٌ، وَالْجَوَابَ أُنْثَى، وَحَيْثُمَا اجْتَمَعَ الزَّوْجَانِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّتَاجِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

سَلِيمُ الْعَرِضِ مَنْ حَذَرَ الْجَوَابَا وَمَنْ دَارَى الرَّجَالَ فَقَدْ أَصَابَا

وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوا وَمَنْ حَقَرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا^(١)

والناس يختلفون في العداوات فبعض الناس عداوته سهلة ، وبعضهم عداوته صعبة ينشب فيك ولا ينفك عنك .

○ قال ابن القيم رحمه الله :

[دَرَجَاتُ الْفُتُوَّةِ] : [الدَّرَجَةُ الْأُولَى تَرْكُ الْخُصُومَةِ] :

قَالَ : وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ . الدَّرَجَةُ الْأُولَى : تَرْكُ الْخُصُومَةِ ، وَالتَّعَافُلُ عَنِ الزَّلَّةِ ، وَنَسْيَانُ الْأَذِيَّةِ . هَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنْ بَابِ التَّرْكِ وَالتَّحَلِّيِ ، وَهِيَ أَنْ لَا يُحَاصِمَ أَحَدًا . فَلَا يُنْصَبُ نَفْسُهُ خَصْمًا لِأَحَدٍ غَيْرِهَا ، فَهِيَ خَصْمُهُ .

وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ أَيْضًا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ لَا يُحَاصِمُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَنْوِي الْخُصُومَةَ بِقَلْبِهِ ، وَلَا يُخْطِرُهَا عَلَى بَالِهِ ، هَذَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ .

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١١/ ٢٤) (٨٠٩٠) .

وَأَمَّا فِي حَقِّ رَبِّهِ : فَالْفُتُوَّةُ أَنْ يُحَاصِمَ بِاللَّهِ وَفِي اللَّهِ وَيُحَاصِمَ إِلَى اللَّهِ ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الْإِسْتِغَاثَةِ : « وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ » ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ فُتُوَّةِ الْعُلَمَاءِ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَمَّا التَّعَافُلُ عَنِ الزَّلَّةِ فَهُوَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى مِنْ أَحَدٍ زَلَّةً يُوجِبُ عَلَيْهِ الشَّرْعُ أَخْذَهُ بِهَا : أَظْهَرَ أَنَّهُ لَمْ يَرَهَا، لِئَلَّا يُعَرِّضَ صَاحِبَهَا لِلْوَحْشَةِ ، وَيُرِيحَهُ مِنْ تَحْمِلِ الْعُذْرِ . وَفُتُوَّةُ التَّعَافُلِ : أَرْفَعُ مِنْ فُتُوَّةِ الْكِتْمَانِ مَعَ الرُّؤْيَةِ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ فَسَأَلَتْ حَاتِمًا عَنْ مَسْأَلَةٍ ؟ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا صَوْتُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَحَجَلَتْ ، فَقَالَ حَاتِمٌ : أَرْفَعِي صَوْتِكَ ، فَأَوْهَمَهَا أَنَّهُ أَصَمٌّ . فَسَرَّتِ الْمَرْأَةُ بِذَلِكَ . وَقَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الصَّوْتَ . فَلَقَّبَ بِحَاتِمِ الْأَصَمِّ وَهَذَا التَّعَافُلُ هُوَ نِصْفُ الْفُتُوَّةِ .

وَأَمَّا نِسْيَانُ الْأَذْيَةِ فَهُوَ بِأَنْ تَنْسِيَ أذْيَةً مِنْ نَالِكَ بِأَذْيٍ ، لِيَصْفُو قَلْبُكَ لَهُ ، وَلَا تَسْتَوْحِشَ مِنْهُ . قُلْتُ : وَهَذَا نِسْيَانٌ آخَرٌ أَيْضًا وَهُوَ مِنَ الْفُتُوَّةِ : وَهُوَ نِسْيَانُ إِحْسَانِكَ إِلَى مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَصُدْرَ مِنْكَ ، وَهَذَا النِّسْيَانُ أَكْمَلُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَفِيهِ قِيلٌ : يَنْسَى صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَحْفَيْتُهُ ظَهَرَ

[فَصْلُ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ أَنْ تُقَرَّبَ مَنْ يُقْصِيكَ] :

قَالَ : الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ أَنْ تُقَرَّبَ مَنْ يُقْصِيكَ ، وَتُكْرِمَ مَنْ يُؤْذِيكَ ، وَتَعْتَذِرَ إِلَى مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ ، سَمَاحَةً لَا كُظْمًا ، وَمَوَدَّةً لَا مُصَابَرَةً .

هَذِهِ الدَّرَجَةُ أَعْلَى مِمَّا قَبْلَهَا وَأَصْعَبُ ، فَإِنَّ الْأَوَّلَى : تَتَضَمَّنُ تَرْكَ الْمُقَابَلَةِ وَالتَّعَافُلِ ، وَهَذِهِ تَتَضَمَّنُ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، وَمُعَامَلَتَهُ بِضِدِّ مَا عَامَلَكَ بِهِ . فَيَكُونُ الْإِحْسَانُ وَالْإِسَاءَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُطَّتَيْنِ . فَخُطَّتُكَ : الْإِحْسَانُ . وَخُطَّتُهُ : الْإِسَاءَةُ . وَفِي مِثْلِهَا قَالَ الْقَائِلُ :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَذِرُ

وَمَنْ أَرَادَ فَهَمْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَمَا يَنْبَغِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّاسِ يَجِدُهَا هَذِهِ بَعِيْنَهَا . وَلَمْ يَكُنْ كَمَالُ هَذِهِ الدَّرَجَةِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ . ثُمَّ لِلْوَرْتَةِ مِنْهَا بِحَسَبِ سِهَامِهِمْ مِنَ التَّرَكَةِ . وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْأَكَابِرِ يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ . وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ .

وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرَ أَعْدَائِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً وَأَذَى لَهُ ، فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي وَاسْتَرْجَعَ . ثُمَّ قَامَ مِنْ قُورِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ ، وَقَالَ : إِنِّي لَكُمْ مَكَانُهُ ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ ، وَتَحَوَّ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ ، فَسَرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ ، وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالِ مِنْهُ ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَهَذَا مَقْهُومٌ .

وَأَمَّا **الْإِعْتِدَارُ** إِلَى مَنْ يَحْجِي عَلَيْكَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَقْهُومٍ فِي بَادِي الرَّأْيِ ، إِذْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْكَ جِنَايَةٌ تَوْجِبُ اعْتِدَارًا ، وَغَايَتُكَ : أَنَّكَ لَا تَوَاحِدُهُ . فَهَلْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْمُواخَذَةِ . وَمَعْنَى هَذَا : أَنَّكَ تَنْزِلُ نَفْسَكَ مَنْزِلَةَ الْجَانِي لَا الْمَجْنِي عَلَيْهِ . وَالْجَانِي خَلِيقٌ بِالْعُذْرِ . وَالَّذِي يُشْهِدُكَ هَذَا الْمَشْهَدَ : أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا سُلِّطَ عَلَيْكَ بِذَنْبٍ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } . فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّكَ بَدَأْتَ بِالْجِنَايَةِ فَانْتَقِمَ اللَّهُ مِنْكَ عَلَى يَدِهِ - كُنْتَ فِي الْحَقِيقَةِ أَوَّلَى بِالْإِعْتِدَارِ . وَالَّذِي يَهْوَنُ عَلَيْكَ هَذَا كُلُّهُ : مُشَاهَدَةُ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْعَشْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ . فَعَلَيْكَ بِهَا . فَإِنَّ فِيهَا كُنُوزَ الْمَعْرِفَةِ وَالْبِرِّ .

وَقَوْلُهُ : سَمَاحَةً لَا كَظْمًا ، وَمَوَدَّةً ، لَا مُصَابَرَةً .

يَعْنِي : اجْعَلْ هَذِهِ الْمَعَامَلَةَ مِنْكَ صَادِرَةً عَنْ سَمَاحَةٍ ، وَطَبِيعَةِ نَفْسٍ ، وَأَنْشِرَاحِ صَدْرٍ ، لَا عَنْ كَظْمٍ ، وَضِيقٍ وَمُصَابَرَةٍ . فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي خُلُقِكَ . وَإِنَّمَا هُوَ تَكَلُّفٌ يُوشِكُ أَنْ يَزُولَ وَيُظْهَرَ حُكْمُ الْخُلُقِ صَرِيحًا فَتُفْتَضَحَ . وَلَيْسَ الْمُقْصُودُ إِلَّا إِصْلَاحُ الْبَاطِنِ وَالسَّرِّ وَالْقَلْبِ .

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الشَّيْخُ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى جِسْرِ الْمَصَابِرَةِ وَالْكَظْمِ . فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ أَفْضَى بِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِعَوْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ... ^(١)

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : لَا تَشْرِ مَوَدَّةَ أَلْفِ رَجُلٍ بِعَدَاوَةِ رَجُلٍ .
وجاء بلفظ : لَا تَشْرِينَ صَدَاقَةَ أَلْفِ رَجُلٍ بِعَدَاوَةِ وَاحِدٍ . ^(٢)

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّهُمْ عمادٌ إذا استنجدتَّهم وظهورٌ
وليس كثيرًا ألف خلٍّ لصاحبٍ وإنَّ عدوًّا واحدًا لكثيرٌ

ومع ذلك فلا بد أن تعلم أن الإنسان لا تخلو حياته من أعداء يقفون في طريقة ويعكرون صفو حياته فالإنسان الناجح والإنسان الصادق لا بد أن يعادى ولا بد أن يؤذى ... وقد تضطرك الحياة إلى بعض العداوات فلا بد أن تصبر وتحمل ، فإنه لم يسلم من العداوة أحد ، والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ليس يخلو المرء من ضِدٍّ ولو حاول العزلة في رأس جبل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣٨)
البقرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ^(١١٢) الأنعام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ ^(٣١) الفرقان. ورضى الناس غاية لا تدرك ، فالمطلوب الآن السلامة من شرهم ، ولا تطمع في خيرهم ...
ولقد أحسن من قال :

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٧) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١١/ ٤٠) (٨١٢٦) .

ما سَلِمَ اللهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ ولا نَبِيٍّ الهَدَى فكيف أنا

قال **جعفر بن عبد الله** : قال لي معاوية بن قرة يوماً : كنا لا نحمد ذا فضل لا يفضل عليه فضله ، فصرنا اليوم نحمد ذا شرٍّ لا يفضل عنه شره ، ثم قال لي : لا تطلب من الناس اليوم الخير اطلب منهم كف الأذى ، فمن كَفَ أذاه عنك اليوم فهو بمنزلة من كان يعطيك الجوائز^(١).

وَقِيلَ : إِنَّ **أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ** خَرَجَ إِلَى حَاتِمٍ ، وَرَحَّبَ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِنَ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَنْ تُعْطِيَهُمْ مَالَكَ ، وَلَا تَأْخُذَ مِنْ مَالِهِمْ ، وَتَقْضِيَ حُقُوقَهُمْ ، وَلَا تَسْتَقْضِيَ أَحَدًا حَقَّكَ ، وَتُخْتَمِلَ مَكْرُوهَهُمْ ، وَلَا تُكْرِهَهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَيْتَكَ تَسْلَمَ^(٢).

قال العلامة **العثيمين رَحِمَهُ اللهُ** : " ومن هنا نذكر أنه ينبغي أن لكل إنسان عاشر شخصاً وصاحبه أن يأخذ منه ما تيسر وأن يعفو عما تعثر امتثالاً لقول الله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) فأمر الله تعالى الإنسان أن يأخذ بما عفا من أخلاق الناس ومعاملاتهم وأن يأمر بالعرف حيثما هو معروف من الخير والإحسان ، وأن يعرض عن الجاهلين الذين يجهلون عليه ويعتدون عليه ، والإنسان إذا أخذ هذه الطريقة وأخذ من أخلاق الناس ومعاملتهم ما عفا ، وتغاضى عما صعب ، نال رضا الجميع واستراح قلبه وانشرح صدره ! وَجَرَّبَ تَجَدُّدًا^(٣).

قال **أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَانَ رَحِمَهُ اللهُ** : العاقل يبصر موضع خطواته قبل أن يضعها ، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة لينال حاجته ، ولا يقاربه كل المقاربة ، فَيَجْتَرِي عَلَيْهِ ، والعاقل لا يعادي ما وجد إلى المحبة سبيلاً ، ولا يعادي من ليس له منه بُدْ ، ولا العدو الحقن الذي لا يطاق ؛ فإنه

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧٠/٥٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤٨٧/١١) .

(٣) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٢٤/٢ ، بترقيم الشاملة آليا) .

ليس له حيلة إلا الهرب منه ، وحيلة السبيل إلى القدرة على العدو وجود الغرة فيه وأن يرى العدو أنه لا يتخذه عدوًا ثم يصادق أصدقاءه فيدخل بينه وبينهم .

وأحزم الأمور في أمر العدو أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه مجانبته من يعاشره ويصحب عدوه .^(١)

قال **يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ** : **قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ** : لا تخف ممن تحذر ، ولكن احذر ممن تأمن .^(٢)

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٩٥) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٩٦) .

الجزء الثاني

قواعد في فن التعامل

لرفع المشاكل والخلافات بعد وقوعها

القاعدة الأولى :

لا تغضب

الغضب مفتاح الشر وباب التعدي والظلم فإذا غضب الشخص ولم يضبط نفسه فيتوقع منه عمل أي شيء وقول كل قبيح ومحرم ؛ ولذلك كانت من أجمع وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ما جاء **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ »^(١).

وعن **جَارِيَةَ بِنْتِ قَدَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ ، وَأَقِيلُ لَعْنِي لَا أَغْفِلُهُ؟ قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » ، فَعَادَ لَهُ مِرَارًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَغْضَبْ »^(٢).

وعن **أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذُنِّي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةَ »^(٣).

وعَنْ **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو** - رضي الله عنهما - قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لَا تَغْضَبْ »^(٤).

قَالَ **أَبُو حَاتِمٍ** - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَغْضَبْ » ؛ أَرَادَ بِهِ : أَنْ لَا تَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْغَضَبِ مِمَّا نَهَيْتَكَ عَنْهُ ، لَا أَنَّهُ نَهَاكَ عَنِ الْغَضَبِ ؛ إِذِ الْغَضَبُ شَيْءٌ جَبِلَةٌ فِي الْإِنْسَانِ ، وَحُمَالُ أَنْ يُنْهِيَ الْمَرْءَ عَنْ جَبِلَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا ؛ بَلْ وَقَعَ التَّهْيُّ فِي هَذَا الْخَبَرِ عَمَّا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْغَضَبِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ^(٥).

(١) صحيح البخاري (٢٨ / ٨) (٦١١٦) .

(٢) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٠٧ / ٨) (٥٦٦٠) .

(٣) رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٦ / ٣) (٢٧٤٩) . وصحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢٣٠ / ٢) (٧٣٧٤) .

(٤) رواه ابن حبان وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٤٣ / ١) (٢٩٦) و((التعليق الرغيب)) (٢٧٧ / ٣) .

(٥) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٠٨ / ٨) .

وعن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ : " أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بكلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأُنى ، قال : « اجتنب الغضب » . ، ثم أعاد عليه ، فقال : « اجتنب الغضب » .^(١)

وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « من كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ ، ومن خزن لسانه ستر الله عورته ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » .^(٢)

وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ : سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ : أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى ، قَالَ : فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ : أَوْقِدُوا نَارًا ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا ، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمَسِّكُ بَعْضًا ، وَيَقُولُونَ : فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : مِنَ النَّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ : فَقَالَ : « لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ » .^(٣)

وعن أبي مسعود البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي ، « اْعَلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ » ، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ ، قَالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : « اْعَلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اْعَلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ » ، قَالَ : فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي ، فَقَالَ : « اْعَلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ » ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا .^(٤)

تنبيه : هذا القسم من القاعدة يصلح أن يكون ضمن القواعد التي تدفع المشاكل قبل وقوعها .
والقسم الثاني منها وهو (الضبط) يكون ضمن القواعد التي ترفع المشاكل بعد وقوعها .

(١) أخرجه أحمد (٤٠٨ / ٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة (٤٥٨ / ٢) (٨٨٤) وفي صحيح الجامع ١٤٣ .

(٢) أخرجه أبو يعلى في " مسنده " (١٠٧١ / ٣) ومن طريقه الضياء في " المختارة " (٢٤٩ / ٢) والدولابي في " الكنى " (١٩٤ / ١) و ١٩٥ و ٢ / ٤٤ وأبو عثمان النجيري في " الفوائد " (٤٤ / ٢) . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤٧٥ / ٥) (٢٣٦٠) .

(٣) صحيح البخاري (١٦١ / ٥) (٤٣٤٠) .

(٤) صحيح مسلم (١٢٨٠ / ٣) (١٦٥٩) .

○ ويندرج تحت هذه القاعدة ضبطان :

- الأول : ضبط النفس :

فيحتاج الشخص إلى أن يضبط نفسه ، حتى لا يقوم بأي تصرف خاطئ في حال الغضب .

فالإنسان الذي لا يتمالك نفسه عند الغضب ربما لطم أو ضرب أو رمى بشيء وربما قتل ... وغير ذلك من التصرفات الخاطئة .

فإذا زال عنه الغضب ندم على ما صار منه ، وذهب يبحث عن الأعذار والمعاذير ؛ ولا عذر له .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنَظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » .^(١)

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الصُّرْعَةُ كُلُّ الصُّرْعَةِ الَّذِي يَغْضَبُ فَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ وَيَقْشَعِرُّ شَعْرُهُ ؛ فَيَصْرَعُ غَضَبُهُ » .^(٢)

(١) صحيح البخاري (٢٨ / ٨) (٦١١٤) . مسلم (٢٦٠٩) . (الشديد) القوي الحقيقي . (بالصرعة) الذي يغلب الرجال ويصرعهم . (يملك نفسه) يَكْظُمُ غَيْظَهُ وَيَتَحَلَّمُ وَلَا يَعْمَلُ بِمَقْتَضَى غَضَبِهِ . وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٦ / ٣) تحت رقم (٢٧٥٠) . ورواه ابن حبان في "صحيحه" مختصراً : "ليس الشديد من غلب الناس ، إنما الشديد من غلب نفسه" .

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٧١٧ / ٢) (٣٨٥٩) . (قال الحافظ) : " (الصُّرْعَةُ) بضم الصاد وفتح الراء : هو الذي يصرع الناس كثيراً بقوته . وأما (الصُّرْعَةُ) بسكون الراء : فهو الضعيف الذي يصرعه الناس حتى لا يكاد يثبت مع أحد ، وكل من يُكْثَرُ عنه الشيء يقال فيه : (فُعِلَ) بضم الفاء وفتح العين مثل (حُقِظَ) و (خُدِعَ) و (ضُحِكَ) وما أشبه ذلك ، فإذا سكنت ثانيه فعلى العكس ، أي : الذي يُفْعَلُ به ذلك كثيراً" . ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٦ / ٢) .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُدْلِكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ ؟ » (يعني: الصَّريخ) رجل ظلمه رجل ، فكظم غيظه ؛ فغلبه ، وغلب شيطانه ، وغلب شيطان صاحبه ، (وفي رواية) : الذي يملك نفسه عند الغضب .^(١)

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .^(٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ » .^(٣)

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ؛ دَعَاهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ » .^(٤)

(١) حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٨٦٩) (٣٢٩٥) وقال : أخرجه البزار في "مسنده" (٤٣٨/٢ - ٤٣٩/٤ و ٢٠٥٣ و ٢٠٥٤) - بالروایتين بإسناد واحد - .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في [قضاء الحوائج] وحسنه الألباني صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٩٧) (١٧٦) . والصحيحة ٩٠٦ .

(٣) قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٧) (٢٧٥٢) . [صحيح لغيره] رواه ابن ماجه، ورواته محتج بهم في "الصحيح" .

(٤) قال لألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٨) (٢٧٥٣) . [حسن لغيره] رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه؛ كلهم من طريق أبي مرحوم - واسمه عبد الرحيم بن ميمون - عن سهل بن معاذ عنه .

- الثاني : ضبط الألفاظ :

كم يفرح الشخص إذا خاطبته بكلمة طيبة تدل على التقدير والاحترام ، وكم يكون أثرها أعظم عندما تكون هذه الكلمات في حال الغضب ...

عن أبي شريح - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة : **قال** : طيب الكلام ، وبذل السلام ، وإطعام الطعام ^(١) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **« والكلمة الطيبة صدقة »** ^(٢) .
الكلمات الحنونة لها أثر عظيم على النفوس والمشاعر ومكانة كبيرة في القلوب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفُتُوهُم بِاللَّيْلِ حُسْنًا ﴾ البقرة : ٨٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفُتُوهُم لَمْ يَكُنْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ النساء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل : ١٢٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ لِمَ بَادَى يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ الإسراء .

الإنسان قد يضبط نفسه عند الغضب ويمنع أركانه من التجاوز والخطأ ولكن قد لا يستطيع ضبط لسانه ومنعه من الخطأ والزلل والتجاوز ... فليحرص الشخص أن يقول خيرًا فيغنى أو يصمت عن الشر فيسلم .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : **« قولوا خيرًا تغنموا ، واسكتوا عن شرّ تسلموا »** ^(٣) .

(١) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه في حديث والحاكم وصححه . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٩٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٣٤) ومسلم (١٠٠٩) .

(٣) أخرجه القاضي ، عن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني رحمه الله في "السلسلة" (٤١٢) .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أكثر خطايا بني آدم في لسانه »^(١).

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكّر ، فإن كان له : قال ، وإن كان عليه : سكت ، وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فإن همّ بالكلام تكلم به ، له أو عليه .

قد تحل المشكلة ولكن تبقى جراحات الكلام تحترق في النفس ...

جراحات السّنان لها الثّام ولا يلتام ما جرح اللسان

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ »^(٢).

وقد يصل الشخص إلى السب والشتم والفحش في الكلام ويتعذر بالغضب ! وهذا لا يصلح ولا ينبغي أن يحصل من المسلم ! وهل تظهر أخلاق الناس إلا في حال الغضب ! .

عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِي يَشْتُمُنِي - وَهُوَ دُونِي - ؛ أَفَأَنْتَقِمُ مِنْهُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانَانِ ، يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذِبَانِ »^(٣).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مَا لِمَ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ »^(٤).

إن كان يعجبك السكوت فإنه قد كان يعجب قلبك الأخيار

ولئن ندمت على سكوتك مرة فلتندم على الكلام مرارا

^(١) رواه الطبراني والبيهقي ، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي « السلسلة » (٥٣٤).

^(٢) صحيح البخاري (١٠٠ / ٨) (٦٤٧٤).

^(٣) قال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨ / ٢٢٨) (٥٦٩٦) . صحيح لغيره - ((إيمان ابن أبي شيبه)) (٩٦ / ١١١) ، ((التعليق الرغيب)) (٣ / ٢٨٥) .

^(٤) رواه مسلم رقم (٢٥٨٧) . (المستبان ما قالا) معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادي منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادي أكثر مما قال له .

إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوةً وضارا
وإذا تقرب خاسرٌ من خاسرٍ زادا بذلك خسارةً وتبارا

قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الكلام كالدواء ، إن أقللت منه نفع ، وإن أكثرته منه قتل .

وقد يتجاوز الشخص بإطلاق الأحكام الجائرة على الناس أو اللعن لهم أو التعدي في الدعاء عليهم أو على أهله أو يقع في الطلاق أو الظهار أو رمي التهم وغيرها ... وكل ذلك بسبب عدم ضبط اللسان عند الغضب .

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاظٍ ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ ، وَكَانَ النَّاصِحُ يَعْتَقِبُهُ مِمَّا الْخُمْسَةَ وَالسَّتَّةَ وَالسَّبْعَةَ ، فَدَارَتْ عَقِبَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاصِحٍ لَهُ ، فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضُ التَّلَدَّنِ ، فَقَالَ لَهُ : شَأْ ، لَعَنَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بِعِيرِهِ ؟ » قَالَ : أَنَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « أَنْزِلْ عَنْهُ ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ » .^(١)

وعن ضَمُضِمِ بْنِ جُوَيْسٍ قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ مُصَفَّرٍ رَأْسُهُ ، بَرَّاقِ الثَّنَائِيَا ، مَعَهُ رَجُلٌ أَدْعَجٌ ، جَمِيلُ الْوَجْهِ ، شَابٌّ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا يَمَامِيُّ ! تَعَالِ ، لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ أَبَدًا : لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ! وَاللَّهِ لَا يَدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا ، قُلْتُ : وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : أَنَا **أَبُو هُرَيْرَةَ** ، قُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ ، أَوْ لِحَادِمِهِ إِذَا غَضِبَ عَلَيْهَا ؟ قَالَ : فَلَا تَقُلْهَا ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالْآخَرُ مُذْنِبٌ ، فَأَبْصَرَ الْمُجْتَهِدُ الْمَذْنِبَ عَلَى ذَنْبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ لَهُ : خَلْنِي وَرَبِّي ! قَالَ : وَكَانَ يُعِيدُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : خَلْنِي وَرَبِّي ، حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ ، فَاسْتَعْظَمَهُ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَقْصِرْ ، قَالَ خَلْنِي وَرَبِّي ! أُبْعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٣٠٤) (٣٠٠٩) .

لَا يَغْفِرُ لَكَ أَبَدًا - أَوْ قَالَ : لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا - ، فَبُعِثَ إِلَيْهِمَا مَلَكٌ ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ - جَلَّ وَعَلَا - ، فَقَالَ رَبُّنَا لِلْمُجْتَهِدِ : أَكُنْتَ عَالِمًا ؟ أَمْ كُنْتَ قَادِرًا عَلَى مَا فِي يَدَيَّ ؟ أَمْ تَحْظَرُ رَحْمَتِي عَلَى عَبْدِي ؟! اذْهَبْ إِلَى الْجَنَّةِ - يُرِيدُ : الْمَذْنِبَ - ، وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ ^(١) .

فيحتاج المسلم أن يلتزم العدل في حال الرضى والغضب والصحة والمرض ...

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال : **« ثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ؛ ... وأما المنجيات : فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية ... »** ^(٢) .
 وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا »** ^(٣) .

لعمرك ما شيء علمت مكانه		أحق بسجـن من لسان مذل
على فيك مما ليس يعينك شأنه		بقفل وثيق ما استطعت فأقفل
فرب كلام قد جرى من ممازج		فساق إليه سهم حتف معجل
وللصمت خير من كلام بمأثم		فكن صامتًا تسلم وإن قلت فاعدل

فعند ضبطنا لأنفسنا ستحل كثير من مشاكلنا وتنتهي كثير من خلافاتنا .

^(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٢١/٨) (٥٦٨٢) .

^(٢) قال الألباني رواه البزار -واللفظ له- ، والبيهقي وغيرهما . وهو مروي عن جماعة من الصحابة ، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال ، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى . صحيح الترغيب والترهيب (٣١٢/١) (٤٥٣) .

^(٣) عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ . رواه ابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٠١/٣) (١٩٦٨) .
 ((صفة الصلاة)) ((الكلم الطيب)) ((الظلال)) (١٢٩) .

- ماذا يفعل من غضب :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ »^(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَّمُوا وَيَسِّرُوا، عَلَّمُوا وَيَسِّرُوا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ (مَرَّتَيْنِ) »^(٢).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ، فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ ؛ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ »^(٣).

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرُ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ " فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَقَالَ : وَهَلْ بِي جُنُونٌ^(٤).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِرَجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَالصَّدِيقُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَصْرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَنِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْعَوُودُ عَلَى زَوْجِهَا الَّتِي إِذَا غَضِبَ جَاءَتْ حَتَّى تَضَعَ يَدَهَا فِي يَدِ زَوْجِهَا، وَتَقُولُ : لَا أَذُوقُ غَمَضًا حَتَّى تَرْضَى »^(٥).

(١) رواه الحاكم وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٨٠ / ١) (٦٩٣) والصحيحة (١٣٧٥).

(٢) قال الألباني (صحيح لغيره) صحيح الأدب المفرد (ص: ٥٠١) (١٣٢٠ / ٩٩٦).

(٣) رواه ابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٠٦ / ٨) (٥٦٥٩) و ((التعليق الرغيب)) (٢٧٩ / ٣).

(٤) صحيح البخاري (١٢٤ / ٤) (٣٢٨٢) ومسلم (٢٦١٠).

(٥) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥٧٨ / ١) (٢٨٧) وقال أخرجه تمام الرازي في " الفوائد "

(ق ٢٠٢ / ١) وعنه ابن عساكر (٢ / ٨٧ / ٢) بتمامه، وأبو بكر الشافعي في " الفوائد " (ق ١١٥ - ١١٦) وأبو نعيم في " الحلية " (٤ / ٣٠٣)

نصفه الأول، والنسائي في " عشرة النساء " (١ / ٨٥ / ١) النصف الآخر.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قَوْلِهِ تَعَالَى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .
 قَالَ : الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمَهُمُ اللَّهُ وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوَّهُمْ كَأَنَّهُ
 وَلِيُّ حَمِيمٍ قَرِيبٌ .^(١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ^(٣٧) الشورى.

لَيْسَتْ الْأَحْلَامُ فِي حِينِ الرِّضَا إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي حِينِ الْغَضَبِ

قال **أَبُو حَاتِمٍ بن حبان** رَحِمَهُ اللَّهُ : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صعب ذلك عَلَيْهِ
 فليتحالم لأنه يرتقي به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم المعرفة ثم التثبت ثم العزم ثم التصبر ثم الصبر ثم الرضا ثم الصمت والإغضاء ، وما
 الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحلم عمن لم يؤذ ، فليس ذلك
 بحلم ولا إحسان .

صاف الصديق بوجهه وإذا دنا شبراً فزده

واحلم إذا نطق السفیه فمن يرد جهلاً يمجده^٢

ومنه قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَعْلَمِ ، وَالْحِلْمُ بِالْتَحْلَمِ ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ ،
 وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ » .^(٤)

فعليك بالصبر والحلم والتحمل وعدم الاندفاع والتهور في حال الغضب ؛ فهو مفتاح الشرور .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيلًا وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ (٣/ ١٤١٥) (٥١١٧).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢١٠) .

(٣) رواه الدارقطني ، عن أبي هريرة وأبي الدرداء رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وحسن إسناده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيحة" (٣٤٢).

قال **أبو حاتم بن حبان** رَحِمَهُ اللهُ : سرعة الغضب من شيم الحمقى ، كما أن مجانبته من رأي العقلاء ، والغضب بذر الندم ، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب .^(١)

عن **حماد بن زيد** رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : قَالَ **أَيُّوبُ** رَحِمَهُ اللهُ : حِلْمٌ سَاعَةٌ يَدْفَعُ شَرَّ سَنَةٍ .^(٢)
عَنْ **وُهَيْبِ الْمَكِّيِّ** رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ثَلَاثٌ خِلَالٍ فَلَا يَعْتَدَنَّ بِعَمَلِهِ : وَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ السَّفِيهَ ، وَخُلُقٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ .^(٣)

قال **أبو حاتم بن حبان** رَحِمَهُ اللهُ : مَا ضَمَّ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ ، وَمَا عَدَمُ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ هُوَ أَوْحَشُ مِنْ عَدَمِ الْحِلْمِ فِي الْعَالَمِ ، وَلَوْ كَانَ لِلْحِلْمِ أَبْوَانُ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ وَالْآخَرُ الصَّمْتُ ، وَرَبَّمَا يَدْفَعُ الْعَاقِلُ إِلَى الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ إِلَى مَنْ لَا يَرْضِيهِ عَنْهُ الْحِلْمُ وَلَا يَقْنَعُهُ عَنْهُ الصَّفْحُ ! فَحِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى سَفِيهِ يَنْتَصِرُ لَهُ ، لِأَنَّهُ تَرَكَ الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مِنَ الْحِلْمِ .^(٤)

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ١٣٩) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٤ / ١١) (٨٠٦٨) .

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٤ / ١١) (٨٠٦٧) .

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٢١٣) .

القاعدة الثانية :

لا تنسوا الفضل بينكم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة .

إن من أعظم ما يؤلم الإنسان هو نكران المعروف وجحود الإحسان ، والمعاملة السيئة التي لا يعلم لها سبباً ولا يرى لها مبرراً .

سواءً كان النكران لجهود وإحسان خاص ، أو كان النكران لجهود وإحسان عام .

النكران والجحود قد يؤدي إلى النكران والجحود كنتيجة عكسية ، وقد يؤدي إلى ترك الإحسان كنتيجة سلبية .

لكل إنسان طاقة وحدٌ في التحمل ثم ينفجر . ولا بد من تحاشي الانفجار قبل وقوعه فإذا وقع اتسع الخرق على الراقق وتحطمت بيضة الأخوة على صخرة القسوة واللامبالاة وتقطعت الروابط وتمزقت العلاقات وتنافرت القلوب .

كما أن التقدير وشكر الإحسان يكون حافزاً ودافعاً للشخص إلى المواصلة والاستمرار والزيادة في الجود والإحسان .

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه بثّ الذي كان من أخباره علما

إن الكريم الذي تبقى مودته ويحفظ السر إن صافا وإن صرما

فإذا حصلت بينك وبين شخص مشكلة فلا تنس سابق الإحسان الذي كان بينكما ، ولا تنس المعروف الذي قدمه لك ، ولا تنس الأيام الجميلة واللحظات السعيدة التي عشتها معا ... اغمس هذه الإساءة في بحر الحسنات السابقات ، وامحها لتبقى المحبة والمودة والإخاء .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » فَقُلْنَ :

وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ » ، قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ » قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ : « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ » قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ : « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا » .^(١)

إذا المرء لم يشكر قليلاً أصابه فليس له عند الكثير شكور
ومن يشكر المخلوق يشكر لربه ومن يكفر المخلوق فهو كفور

قال **أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ** : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته إن قدر فبالضعف وإلا فبالمثل وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده مع بذل الجزاء له بالشكر وقوله جزاك الله خيرًا ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الشناء .
ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها لما لم يركب فيه من التفقد لمراعاة العشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه وترك المناقشة على فعله ، والرجل الآخر أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة استخفافاً بالمنعم واستحقاراً للنعمة ، وتهاوناً في نفسه لهما أو لأحدهما ؛ فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكر
إذا ما صديقي نال خيرًا فخاني فما الذنب عندي للذي خان أو فجر
ولكن إذا أكرمته بعد كفره فإني ملومٌ حيث أكرمُ من كفر^(٢)

- لا تنس الفضل لأهل الفضل ...

(١) صحيح البخاري (٦٨ / ١) (٣٠٤) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٢٦٦) .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ أَخَذًا يَظْرِفُ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ » فَسَلَّمَ وَقَالَ : إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : « يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » ثَلَاثًا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ ، فَسَأَلَ : أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا : لَا ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ ، مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي » مَرَّتَيْنِ ، فَمَا أُودِيَ بَعْدَهَا .^(١)

وعن ربيعة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْطَانِي أَرْضًا ، وَأَعْطَى أَبَا بَكْرٍ أَرْضًا ، وَجَاءَتِ الدُّنْيَا فَاخْتَلَفْنَا فِي عِدْقِ نَخْلَةٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هِيَ فِي حَدِّ أَرْضِي ، وَقُلْتُ أَنَا : هِيَ فِي حَدِّي ، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ كَلَامٌ ، فَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ كَلِمَةً كَرِهْتُهَا ، وَنَدِمَ ؛ فَقَالَ لِي : يَا رَبِيعَةُ ! رَدِّ عَلَيَّ مِثْلَهَا حَتَّى يَكُونَ قِصَاصًا ، قُلْتُ : لَا أَفْعَلُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَتَقُولُنَّ ، أَوْ لَأَسْتَعْدِينَ عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْتُ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . قَالَ : وَرَفُضَ الْأَرْضُ ، فَاَنْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاَنْطَلَقْتُ أَتْلُوهُ ، فَجَاءَ أَنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ ، فَقَالُوا : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ! فِي أَيِّ شَيْءٍ يَسْتَعْدِي عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَكَ مَا قَالَ ؟! فَقُلْتُ : أَتَدْرُونَ مِنْ هَذَا ؟ هَذَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ، وَهُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ ، وَهُوَ ذُو شِيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِيَّاكُمْ يَلْتَفِتُ فَيَرَاكُمْ تَنْصَرُونِي عَلَيْهِ فَيَغْضَبُ ، فَيَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَغْضَبُ لَغَضْبِهِ ، فَيَغْضَبُ اللَّهُ لَغَضْبِهِمَا ؛ فَيَهْلِكُ رَبِيعَةُ ، قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : ارْجِعُوا .

فَاَنْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَبَعْتُهُ وَحْدِي ، وَجَعَلْتُ أَتْلُوهُ ؛ حَتَّى أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ كَمَا كَانَ ، فَرَفَعَ إِلَيَّ رَأْسَهُ فَقَالَ : (يَا رَبِيعَةُ ! مَا لَكَ

(١) صحيح البخاري (٥/٥) (٣٦٦١) .

وللصديق؟ قلت : يا رسول الله ! كان كذا، وكان كذا، فقال لي كلمة كرهتها، فقال لي : قل كما قلت لك حتى يكون قصاصاً ، فأبيت ؟! فقال رسول الله : أجل، فلا تردّ عليه، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر!) : فقلت : غفر الله لك يا أبا بكر! [قال : فولى أبو بكر وهو يبكي ^(١).

فاعرف لأهل الفضل فضلهم ، واحفظ لهم مكانتهم ، ولا تنس معروفهم وإحسانهم ، وتحمل ما قد يحصل من هفواتهم وزلاتهم ؛ فهذا يحل لنا كثيراً من المشاكل والخلافات .

ومن نسي الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيما عرف

أليس إليهم صلاح البناء إذا ما الأساس سما بالغرف ؟

ومن الأمور الطيبة والأخلاق العالية أن تعترف بفضل الآخرين ومكانتهم ولا تغمطهم فضلهم وتدفن إحسانهم .

قال ابن سيرين رحمه الله : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيره ^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٥٨/٤ - ٥٩) ، والطبراني في "المعجم الكبير" (٥٢/٥ - ٥٣) ، وابن عساكر في "التاريخ" (٥٨٣/٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤٠٧/٧) (٣١٤٥) .

(٢) البداية والنهاية ط الفكر (٢٧٥/٩) .

القاعدة الثالثة :

التمس الأعذار للناس

إذا رأيت أو سمعت أو بلغك من أخيك أو صديقك أو قريبك شيئاً تكرهه فالتمس له العذر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، فإن لم تجد له عذراً تقبله فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

واحمل جميع من حولك على المحمل الحسن ما استطعت ، ولا تسيء الظن فتسيء الفهم فيسوء الفعل والمعاملة ، فتسيئك النتيجة ، ويساء إليك بالرد والمعاملة .

وإذا سمعتَ قيلًا يحتملُ التأويلا

فاحمله خيرَ محمَل فَعَلَ الرجالِ الكَمَل

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا مَرْثِدَ الْغَنَوِيِّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُنَّا فَارِسَ، قَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاجٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ » فَأَذْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا ، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا : الْكِتَابُ، فَقَالَتْ : مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَتَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَشُخْرِجَ الْكِتَابِ أَوْ لُجَرْدَنَّا، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا ، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ ، فَأَنْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعَنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ » قَالَ حَاطِبٌ : وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا » فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعَنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ، فَقَالَ : «

أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ : لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ « فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرُ، وَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ^(١).

عن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ الشَّيْءُ تَكْرَهُهُ فَالْتِمِسْ لَهُ عُذْرًا وَاحِدًا إِلَى سَبْعِينَ عُذْرًا ، فَإِنْ أَصَبْتَهُ وَإِلَّا قُلْ : لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا لَا أَعْرِفُهُ^(٢).

(١) صحيح البخاري (٧٧ / ٥) (٣٩٨٣) . ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٥٥٩ / ١٠) (٧٩٩١) .

القاعدة الرابعة :

عامل الناس بالظاهر ، ولا تدخل في النوايا

الأصل في تعاملنا مع من حولنا هو التعامل بالظاهر أما بواطن الناس ونواياهم فلا يعلمها إلا الله. فالدخول في البواطن والنوايا يعقد الأمور ويفتح باباً واسعاً للاتهامات والإلزامات والوساوس ؛ وهذا لا ينضبط أبداً.

فيكفيك من الناس ما أظهروا لك من التعامل ، وارض بذلك وعاملهم على أساسه وقياسه ، أما سرائرهم فكلها إلى الله تعالى .

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : « إِنَّ أَنَا سَا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ، أَمِنَاهُ ، وَقَرَّبْنَاهُ ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَّهُ ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ ، وَإِنْ قَالَ : إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ .^(١) »

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهِيبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ ، لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَابِهَا ، قَالَ : فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ ، بَيْنَ عِيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَالرَّابِعُ : إِمَّا عَلَقْمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ ، قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً » ، قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ ، كَثُّ اللَّحْيَةِ ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ ، قَالَ : « وَيْلَكَ ، أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ » قَالَ : ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ ؟ قَالَ : « لَا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي » فَقَالَ خَالِدٌ :

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٦٩) (٢٦٤١).

وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْتَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ » قَالَ : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ ، فَقَالَ : « إِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » ، وَأَظْنُهُ قَالَ : « لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ »^(١).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ ، قَالَ : « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ » فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ^(٢).

بتطبيق هذه القاعدة تُحل كثير من الخلافات ، وتنتهي كثير من المشاكل والنزاعات .

(١) صحيح البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) .

(٢) صحيح مسلم (٩٦/١) ١٥٨ - (٩٦) .

القاعدة الخامسة :

التثبت من الأخبار وعدم العجلة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ بَنِيكَ فَتَيَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَنُصِيحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

تَذِمِينَ ﴿٦﴾ الحجرات.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللهُ : وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسقٌ بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تَلَفِ النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقفٌ فيه كما ذكرنا. ^(١)

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ : يعني أمرناكم أن تتثبتوا كراهة أن تصيبوا قومًا بجهالة؛ لأن الإنسان إذا تسرع ولم يتثبت فقد يعتدي على غيره بناءً على الخبر الذي سمعه من الفاسق، وقد يكرهه، وقد يتحدث فيه في المجالس، فيصبح بعد أن يتبين أن خبر الفاسق كذب نادماً على ما جرى منه، وفي هذه الآية دليلٌ على أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما ينقل من الأخبار ولا سيما مع الهوى والتعصب، فإذا جاءك خبر عن شخص وأنت لم تثق بقول المخبر فيجب أن تتثبت، وألا تتسرع في الحكم؛ لأنك ربما تتسرع وتبني على هذا الخبر الكاذب فتندم فيما بعد، ومن ثم جاء التحذير من النسيئة، وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض للإفساد بينهم. ^(٢)

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٠).

(٢) تفسير العثيمين : الحجرات - الحديد (ص: ٢٦).

آفة الأخبار رواتها ونقلتها فيحتاج الإنسان أن يحذر من فتح أذنيه لمن هب ودب ؛ يصبُّ فيها ما يشاء ، وعليه أن يتأكد من صحة ما سمعه أو بلغه قبل أن يتكلم به أو يتصرف على ضوئه أو يبني مواقف عليه أو يتخذ قرارات على أساسه .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »^(١)، وعند أبي داود بلفظ : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع »^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ : لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع^(٣).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع^(٤).

وكم من أحكام ومواقف بُيِّنَتْ على أخبار كاذبه فندم أصحابها بعد فوات الأوان .

لا تحكمنَ بما سمعت عن الورى إن شئت عدلاً فاحكمنَ بما ترى
فلربَّ أنباءٍ أتتك مـرـيـبـة أعمت عيونك عن حقيقة ما جرى
إن الذي يبني قصوراً بالفـرى فلسوف تُهدم فوقه وكأن هوى
من قال حدثني الثقات أولو التقى أيكون نماماً ويوصف بالتقى

قال رجلٌ **للأحنف بن قيس** : أخبرني الثقة عنك بسوء ، قال : الثقة لا ينم^(٥).

فالتأني والتثبت وعدم العجلة في اتخاذ المواقف والقرارات من الأمور المهمة التي تعين على علاج المشاكل وإصلاح أحوال الناس ، فمن يستعجل يندم ... والعجلة أم الندامات .

^(١) رواه مسلم في « المقدمة »، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

^(٢) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في « صحيح أبي داود » (٤٩٩٢) .

^(٣) رواه مسلم في « المقدمة » (١٢) .

^(٤) رواه مسلم في « المقدمة » (٩) .

^(٥) وفيات الأعيان ٥٠٦/٢ .

والشيطان قد يوقعك في الحرج ثم يتخلى عنك .

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " التأني من الله ، والعجلة من الشيطان " .^(١)

قال أَبُو حاتم بن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ : الراق لا يكاد يُسبق ، كما أن العَجَل لا يكاد يُلحق ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم ، والعجل يقول قبل أن يعلم ، ويجب قبل أن يفهم ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قبل أن يفكر ، ويمضي قبل أن يعزم ، والعجل تصحبه الندامة وتعزله السلامة ، وكانت العرب تكني العجلة أم الندامات ! .^(٢)

- قيل اجتمع أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ من الرُّومِ عِنْدَ حَكِيمٍ من حكمائهم فَقَالُوا : أوصنا أيها الحَكِيمُ وَصِيَّةً ننتفع بها فِيمَا صَارَ إِلَيْنَا من أمر الملك ، فَقَالَ : من اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ من أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِهِ مَكْرُوهٌ وَهِيَ : العجلة واللجاجة والعجب والتواني ، فثمررة العجلة الندامة وَثَمَرَةُ اللجاجة الحيرة وَثَمَرَةُ العجب البغضة وَثَمَرَةُ التواني الذلة .

وَكَانَ يُقَالُ التثبِتُ فِي النَوَائِبِ مَعْقِلُ أَهْلِ التَّجَارِبِ ، والعجلة فِي الْأُمُورِ دَاعِيَةٌ إِلَى كُلِّ مُحْذُورٍ .^(٣)

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : على الملك أَنْ يَعْمَلَ بِخِصَالِ ثَلَاثَ : تَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ فِي سُلْطَانِ الْغَضَبِ ، وتعجيل مُكَافَأَةِ المحسن ، والأناة فِيمَا يحدث ، فَإِنْ لَهُ فِي تَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ إِمْكَانُ الْعَفْوِ ، وَفِي تَعْجِيلِ الْمُكَافَأَةِ بِالْإِحْسَانِ الْمَسَارَعَةُ فِي الطَّاعَةِ مِنَ الرَّعِيَةِ ، وَفِي الْأَنَاءَةِ اتِّضَاعُ الرَّأْيِ وَانْفِسَاحُ الصَّوَابِ .^(٤)

(١) أخرجه أبو يعلى في " مسنده " (٣ / ١٥٤) و البيهقي في " السنن الكبرى " (١٠ / ١٠٤) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة (٤ / ٢٩٤) (١٧٩٥) ، وفي صحيح الجامع ٣٠١١ .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٢١٦) .

(٣) المنهج السلوك في سياسة الملوك (ص : ٤٤٠) .

(٤) المنهج السلوك في سياسة الملوك (ص : ٤٤٢) .

ومما قيل في ذلك : رأس العقل التثبت وقائده الحلم .

- بالأناة تنال الفرصة .
- من لازم الأناة أحرز النجاة .
- الأناة حصن السلامة والعجلة مِفْتَاحُ الندامة .

ذكر ابن الجوزي أَنَّ غلامين كانا لبعض الملوك فمضى أحدهما إلى الوزير يطلب منه شيئاً فلم يُعطه ، فقال لِأَخِيهِ لِأُزِيلَنَّ الوزيرَ عَنْ غُرَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ : وَمَنْ أَيْنَ لَكَ يَا أَخِي أَنْ تَقْدِرَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ سَتَرِي ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ جَلَسَا عِنْدَ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا قَرَبَ التَّوَمُ قَالَ لَهُ : يَا أَخِي عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ الْوَزِيرَ خَارِجًا مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ دَاخِلًا إِلَى دَارِ النِّسَاءِ فَلَحَقْتُهُ فَقُلْتُ : لِلَّهِ إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ غَلَطْتُ ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ أَخُذُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَسْلُكْ تِلْكَ الطَّرِيقَ إِلَّا وَقَدْ اعْتَادَ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ الْمَلِكُ قَبَضَ عَلَى وَزِيرِهِ فَاسْتَأْصَلَهُ ، فَمَرَّ بِهِ الْوَصِيفُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنَّمَا كَانَ خَيْرًا أَنْ تُعْطِيَنِي مَا طَلَبْتُ أَوْ هَذِهِ الْحَالَةُ ؟ قَالَ وَإِنَّكَ لَصَاحِبِي ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُ حَسْبُكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ : تُعْطِيَنِي مَا طَلَبْتُ أَعِيدُكَ إِلَى مَنْزِلِكَ ، قَالَ نَعَمْ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَخِيهِ الْمَمْلُوكِ فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ كَيْفَ لَكَ أَنْ تَصْلَحَ مَا أَفْسَدْتَ ؟ قَالَ دَعْنِي وَالْأَمْرُ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَقَارَبَ الْمَلِكُ التَّوَمَ قَالَ الْوَصِيفُ لِأَخِيهِ : وَدِدْتُ لَوْ كُنَّا لِرَجُلٍ مِنَ السُّوقَةِ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ إِنَّ السُّوقَةَ إِذَا غَضِبَ عَلَيْهَا وَجَدْتَ مَنْ يَنْصَفُهَا وَيَشْفَعُ إِلَيْهِمْ ، وَالْمَلِكُ إِذَا سَخَطَ لَيْسَ إِلَّا الْغَضَبُ ، قَالَ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ الْوَزِيرُ قَدْ عَلِمْتُ نَصَحَهُ لِلسُّلْطَانِ وَمَصْلَحَتَهُ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَلَمْ أَعْرِفْ لِحَالِهِ سَبَبًا ، فَاسْتَوَى الْمَلِكُ جَالِسًا وَقَالَ : وَيْحَكَ أَلَسْتَ أَنْتَ سَبَبُهُ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ أَلَسْتُ حَدَّثْتُ أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى دَارِ النِّسَاءِ ! قَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَإِنَّمَا هَذَا لَذَاكَ ؟! قَالَ نَعَمْ ، إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ ، فَندم الملك على ما صنع ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَعَادَهُ إِلَى مَكَانِهِ .^(١)

(١) بدائع السلك في طبائع الملك (١/ ٤٧٩) .

وقال بعض الحكماء : العجلة تثمر الزلل العاجل ، وتسفر عن الندامة في الآجل .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لِلأَشَجِّ أَشَجُّ عَبْدِ الْقَيْسِ :
" إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَانَةُ " ^(١).

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

(١) صحيح مسلم (١/٤٨) - ٢٥ - (١٧). (الحلم والأناة) أما الحلم فهو العقل وأما الأناة فهي الثبوت وترك العجلة .

القاعدة السادسة :

عالج المشاكل ولا توسعها واسرع بحلها ولا تهملها

بعض الناس إذا حصلت له مشكلة مع آخر يقوم بتوسعة المشكلة وإدخال أطراف آخرين في القضية بأدنى ملابسات ؛ ويقوم بنشر القضية وإخبار فلان وعلان بما جرى ... وبعضهم يقوم بطرح القضية على أكثر من شخص ، ويشتكي على الناس ، ويريد إشراك الكثيرين في حلها ... وبهذا تصعب الحلول وتتعدد الأمور وتختلف الآراء .

أخي العزيز : أنت لا تعلم أين يكون الخير أو الشر لك ، فاجعل الخيرة فيما اختاره الله لك ، ولا توسع الأمور على نفسك فتتشبت وتتحسر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩

فكل مشكلة لها حلول ، وكل خلاف له حدود ، فلا تعطي الأمور أكبر من حجمها ، ولا تتجاوز بها حدودها ، ولا تهملها فتكبر ولا تستطيع حلها .

فإِيَّاكَ وَالْأَمْرُ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مواردُه ضاقت عليكِ المَصَادِرُ

فما حسنٌ أَنْ يَعْذُرَ المرءُ نفسه وليس لَهُ من سائرِ الناسِ عاذِرٌ

القاعدة السابعة :

قف عند محل الخلاف ولا تقلّب الماضي

والبعض الآخر لا يقف عند محل الخلاف ، بل يقوم بتقليب ملفات الماضي فإذا حصل بينه وبين زوجته خلافٌ على كأسٍ من الشاي ، فيقوم بذكر جميع أخطاء الماضي ، فتقوم الزوجة بالرد بالمثل وهكذا تتوسع القضية ، وتخرج عن محل الخلاف الأصلي ، وتتوسع المشاكل ؛! فتسوء النتائج! والعقوبات! والعواقب!.

وهكذا قل في كثيرٍ من الخلافات الحاصلة بين الناس في الحياة اليومية أو السياسية أو على الساحة الدعوية .

فنحتاج أن نمحو الماضي السيئ والأخطاء والسلبيات ، ولا نستجرّها في كل خلاف .

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ ؛ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى ، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ ؛ أَخَذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ " ^(١).

هذه هي القاعدة في التعامل مع عثرات الماضي وسلبياته .

لله عمرٌ قد مضى من رحلتي فاغفرِ إلهي ثم جمل ما بقي

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٦٨٠٢/٤١٣/٧) ، وابن عساکر في "تاريخ دمشق" (٣٧٧/١٨) وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٣٨٩) .

القاعدة الثامنة :

نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ : « تَحْجِزْهُ ، أَوْ تَمْنَعْهُ ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » .^(١)

هذا هو التصرف الشرعي العادل مع المظلوم والظالم ، وإذا قمنا به حصل خيرٌ كثيرٌ ، وحُلَّتْ كثيرٌ من المشاكل ، فالظالم يتراجع إن وجد من يأخذ على يده ، والمظلوم يرتاح ويهدأ إذا وجد من ينصره ويقوم معه ويرد له حقه .

(١) صحيح البخاري (٢٢ / ٩) (٦٩٥٢) .

القاعدة التاسعة :

ادفع بالتّي هي أحسن

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ (٢٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) فصلت

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦) المؤمنون
فأنت تحب أن يصبر الناس عليك ، وأن يعفوا عنك ، وأن يحسنوا الظن بك ، وبعدروك ، ويستروك
ووو ... إلخ ، فكن أنت معهم كذلك .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((أن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الممل ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك)) (١).

قال المقنع الكندي :

وبين بني عمي لمختلف جدًا	إن الذي بيني وبين بني أبي
دعوني إلى نصرٍ أتيتهم شدًا	أراهم إلى نصري بطاءً وإن هم
وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا	فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هم هووا غي هويت لهم رشدا	وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقد	ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وإن قلّ مالي لن أكلفهم رفدا	لهم جُلّ مالي إن تتابع لي غني

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨) . [ش (ويجهلون علي) أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق
أكل الرماد الحار من الألم (تسفهم المل) المل هو الرماد الحار أي كأنما تطعمهموه (ظهير) الظهير المعين والدافع لأذاهم] .

فلذلك في حال المشاكل والخلافات انظر واختر أحسن رد وليس أقوى رد :

فالرد الحسن آثاره حسنه ونتائج طيبة ، أما الردود القوية والخشنة غالباً ما تكون جارحه، ونتائجها سيئة ، وربما كانت سبباً في تفاقم المشكلة واتساعها واشتدادها .

القاعدة العاشرة :

عليك بالرفق ! توفّق

والرفق : هو اللطف، ومعناه : الدفع بالتي هي أحسن .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » ^(١) .
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » ^(٢) .

الرفق أيمنُ شيءٍ أنت تتبعه والخرق أشأم شيءٍ يقدم الرجل
وذو التثبت من حمد إلى ظفرٍ وراكب الرفق لا يستحقب الزلا

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » ^(٣) .

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ : الرفق لا يكاد يُسبق، والعجل لا يكاد يُلحق .

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها ، وترك العجلة والخفة فيها ، إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيءٍ من الأشياء على حسب الذي يجب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة ^(٤) .

والعنف والشدة يولدان العناد ، حتى بين العلماء وطلبة العلم ، فما بالك بعوام الناس ، فهم أحوج الناس إلى الرفق بهم ، والتلطف معهم .
ورافق الرفق في كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذمه إنسان

^(١) رواه مسلم برقم (٦٦٠١) .

^(٢) رواه مسلم برقم (٦٦٠٢) ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

^(٣) رواه البخاري برقم (٦٩٢٧) ، ومسلم برقم (٥٦٥٦) ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

^(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٢١٥) .

وكما قيل : من لانت كلمته ، وجبت محبته .
وقال **يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ** : « أَحْسَنُ شَيْءٍ كَلَامٍ رَقِيقٌ ، يَسْتَخْرِجُ مِنْ بَحْرِ عَمِيقٍ ، عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ رَفِيقٍ » .
وقد دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الرِّفْقِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمْرَأَتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفَقْ بِهِ » ^(١) .
ودعا على أهل الشدة والمشقة على الناس فقال : « اللَّهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمْرَأَتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ » .
قال **الزمخشري** في ختام إحدى مقالاته : « إِنَّ الطِّيشَ فِي الْكَلَامِ يَتَرَجَّمُ عَنْ خِفَّةِ الْأَحْلَامِ ، وَمَا دَخَلَ الرِّفْقَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَمَا زَانَ الْمُتَكَلِّمَ إِلَّا الرِّزَانَةُ » ^(٢) .

فتحتاج أن ترفق بنفسك ، وأن ترفق بالناس ، وأن ترفق في حال الصلح بين الناس ، فهذا يساعد كثيرًا في حل المشاكل والخلافات .

^(١) رواه مسلم برقم (٤٧٢٢)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

^(٢) "جواهر الأدب".

القاعدة الحادية عشر :

العدل مطلوب من الجميع ومع الجميع

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ النحل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِفْتَنَلُوهُمَا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩١﴾﴾ الحجرات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ المائدة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ أَوْفَىٰ لَهُمْ وَأَقْسَمُوا بِالْقِسْطِ لَأَكْفِلَنَّهُمْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ الأنعام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ النساء.

فلا بد من العدل في الرضى والغضب ومع الصديق والعدو والمحِب والمبغض والقريب والبعيد والموافق والمخالف والمسلم والكافر ... حتى مع الحيوان ، فالعدل به قوام الحياة وصلاح المجتمعات، وهو القاعدة التي تقوم عليها جميع المعاملات بين الناس وينطلق منها المصلحون ويقوم عليها الإصلاح بين الناس وحل مشاكلهم وخلافاتهم ، ويحصل الرضى به والتوافق عليه من جميع الناس .

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال : **« ثلاثٌ كفاراتٌ ، وثلاثٌ درجاتٌ ، وثلاثٌ منجياتٌ ، وثلاثٌ مهلكاتٌ ؛ ... وثلاث منجيات : خشية الله في السر والعانية والقصد في الفقر والغنى و العدل في الغضب والرضا »** ^(١).

^(١) قال الألباني رواه البزار - واللفظ له-، والبيهقي وغيرهما. وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال ، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى . صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣١٢) (٤٥٣) .

القاعدة الثانية عشر : العفو والصفح عن الآخرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) الأعراف.

من أجل أن نُحل مشاكلنا وخلافاتنا نحتاج إلى العفو والصفح عن الآخرين ، وأن نجعل من حقوقنا شيئاً جزءاً نتنازل عنه لوجه الله وابتغاء الأجر عند الله **فعن عقبة بن عامر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لقيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال لي : (يا عقبة بن عامر ! صل من قطعك و أعط من حرمك ! واعفُ عمن ظلمك) .^(١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) الشورى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (٨٥) الحجر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢) النور.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإنسان إحصان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٨٩) الزخرف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) التغابن.

(١) أخرج الطبراني في " المعجم الكبير " (١ / ١٦٣ / ٢) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٨٩١) .

يبقى الثناء وتذهب الأموال ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمّدة الرجال وشكرهم إلا الصبور عليهم المفضال

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمَ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ »^(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا ، إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا »^(٣).

لَنْ يَبْلُغَ الْعِزَّ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لَأَقْوَامٌ
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُشْرِقَةً لَا عَفْوَ ذُلٍّ وَلَكِنْ عَفْوَ أَحْلَامٍ

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : ما انتقم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه في شيء قط^(٤).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كأني أنظر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي نبياً من الأنبياء ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللَّهُمَّ ، اغفر لقومي ؛ فإنهم لا يعلمون^(٥).
فجمع بين أربعة أمور : عفوه عنهم ، واستغفاره لهم ، واعتذاره عنهم ، واستعطافه لهم .

وهكذا مواقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العفو والصفح كثيرة جداً ، وهذا لسعة صدره ، وكمال أخلاقه ، وقد وصفه ربه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم] .

تسامح ولا تستوفِ حقك كله وأبقِ فلم يستوفِ قط كريم
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمر واقتصد كلا طرفي الأمور ذميم

^(١) رواه مسلم برقم (٢٥٨٨) ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

^(٢) رواه ابن ماجه ، وصححه الوادعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في " الصحيح المسند " برقم (٧٢٧) .

^(٣) رواه أحمد والترمذي (٢٣٢٥) ، وصححه الألباني لغيره في الترمذي ، عن أبي كبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

^(٤) رواه البخاري برقم (٦١٢٦) ، ومسلم برقم (٦٠٤٥) .

^(٥) رواه البخاري برقم (٣٤٧٧) ، ومسلم برقم (٤٦٤٦) .

قال **أبو حاتم بن حبان** رَحِمَهُ اللهُ : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عَلَيْهِ من العالم بأسرهم رجاء عفو الله جل وعلا عَنْ جنائياته التي ارتكبها في سالف أيامه ، لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يوده فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته .

يقول **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللهُ : احتمل لأخيك إلى سبعين زلة قِيلَ له وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قَالَ : لأن الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل سبعين زلة .^(١)

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ١٦٨) .

القاعدة الثالثة عشر :

التغافل عن إساءة الناس إليك ، والتجاوز عنهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣) الفرقان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَهِيلِينَ﴾ (٥٥) القصص.

خَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعَرَفٍ أَمِرْتَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ
وَعِنْدَ اقْتِدَارِكَ كُنْ رَاحِمًا وَأَظْهَرِ دَوَامًا مَعَ الْجَاهِ لِينَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (٧٧) يوسف.

يحتاج الشخص أن يتغافل عن بعض أخطاء الآخرين تجاهه ولا يدقق فيها ولا يذكرها، فما كل ما يقال أو يحصل نحتاج أن نحاسب عليه ، وندقق فيه ، ونختلف من أجله .

طوبى لمن ملأ التغافل قلبه وأنارَ معروفَ التعاملِ دربه
وأقام في دنياه روضَ محبه يُرضي بها قبل الخلائق ربّه

القاعدة الرابعة عشر : التواضع للحق وقبوله

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواضعًا في حياته ودعوته ، وسائر أموره ، يقبل الحق ممن أتى به أو كان معه ، ولنا فيه أسوة حسنة، وهو القائل : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ؛ وَلَا يَنْبَغَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ »^(١).

وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » . قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ »^(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : قوله : « بطر الحق » : فهو دفعه وإنكاره ؛ ترفعا وتجبرا .
« وغمط الناس » أي : احتقارهم^(٣).

فالتواضع : يجعل صاحبه يعترف بالحق له أو عليه ، ويجعله يقبل الحق وينقاد له ، ولو كان مع خصمه ، بخلاف الكبر : فصاحبه يعترف بالحق إن كان له وينكره إن كان عليه ، والكبر يحمل صاحبه على دفع الحق وعدم الانقياد له ، وأيضا الكبر تجد صاحبه يحتقر الناس ولا يرى لهم حقا ولا يرفع لهم قدرا .

^(١) رواه مسلم برقم (٢٨٦٥) ، عن عياض المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

^(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٥) .

^(٣) « شرح مسلم » (١ / ٣٦٧) .

القاعدة الخامسة عشر :

عدم الإصرار على الخطأ

وأذكرك بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ

﴿ ٣٩ ﴾ [البقرة] . وقوله : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ يَذَّكَّرُ بِهِ لِمُنَّ بَعْدَ الْحَقِّ إِذَا الضَّلَلْتُ فَأَنِّي نَصْرُوتُ ﴾ [يونس : ٣٢] .

وقوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وقودة : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

وجاء عن قتيلة بنت صيفي رضي الله عنها - امرأة من جهينة - قالت : إن حبراً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : ما شاء الله ثم شئت ، وقولوا : ورب الكعبة »^(١) .

وعن عائشة وأنس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقوم يُلقِّحون ، فقال : « لَوْ

لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ » . قال : فخرج شيصاً ، فمرَّ بهم فقال : « مَا لِنَخْلِكُمْ » . قالوا : قلت : كذا وكذا . قال : « أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ »^(٢) .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تبَيَّن له الصواب عمل به ولم يصر على الخطأ أبداً .

وهكذا الصحابة رضوان الله عليهم كانوا محبين للحق رجّاعين إليه متى ظهر ، لأن الحق بغيتهم ، فبه يعملون ، وإليه يدعون ، وعنه يدافعون .

- قال شيخ الإسلام رحمه الله : والقلب خلق يحب الحق ، ويريده ويطلبه .^(٣)

إذا تضح الصواب فلا تدعه فإنك كلما ذقت الصوابا

وجدت له على اللّهوات برّداً كبرد الماء حين صفا وطابا

وليس بحاكمٍ من لا يبالي أخطأ في الحكومة أم أصابا

^(١) روه أحمد والنسائي والحاكم ، وصححه الألباني رحمه الله في « الصحيحة » (١٣٦) .

^(٢) رواه مسلم برقم (٦١٢٨) .

^(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية - (٥ / ١٨٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٥) آل عمران.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره ، ومن مات وعليه دين فليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج »^(١).

وقد يوسوس الشيطان للشخص أنه إذا تراجع أثبت الخطأ على نفسه وسقطت هيئته ومكانته ، وهذا من تلبيس إبليس ، والحق في خلافه ، قال **خالد بن معدان** : من اجتراً على الملاوم في موافقة الحق ، رد الله تلك الملاوم حمداً ، ومن التمس المحامد في مخالفة الحق ، رد الله تلك المحامد ذمماً. **قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ** : كان أحسن أمر الشافعي عندي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده ، قال به ، وترك قوله .

وقال **عبد الله بن الحسن العنبري** فقيه البصرة : لأن أكون ذنباً في الحق ، أحب إليّ من أن أكون رأساً في الباطل .

- فلا بد أن ندور مع الحق حيث دار ، ونكون معه حيث كان -

فلا اعتراف بالخطأ والرجوع عنه خُلِقَ نبيل يدل على التدبّر والورع ، والخوف من الله واحترام مشاعر الآخرين ، وهو يُطَيِّبُ قلوب الذين أخطأت بحقهم ، ويذهب ما في نفوسهم ... والعكس يدل على العكس !، وينتج عنه عكس ما ذُكِر ! فتنبه لذلك .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : فكل من رجع إلى الحق ازدادت منزلته عند الله - سبحانه وتعالى - ، ثم عند خلقه .^(٢)

(١) رواه أبو داود والطبراني والحاكم وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٦٥ / ٢) (٦١٩٦ - ٢٠٧٦) الصحيحة ٤٣٨ ، الإرواء ٢٣١٨.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٣٨٥) .

القاعدة السادسة عشر :

اجعل للصالح موضعاً

ولا تندفع في العداوة ، وافتح المجال للمصلحين

صديقك اليوم قد يكون عدوك في الغد ، وقد يحصل العكس : عدوك اليوم قد يكون صديقك الحميم في الغد ، فعليك أن تعتدل في مشاعرك تجاه الآخرين وفي تصرفاتك معهم ، وفي حال الخلافات والمشاكل اجعل للصالح موضعاً يدخل الناس منه، ولا تُغلق جميع الأبواب! فتندم!

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)^(١).

وجاء عن زيد بن أسلم عن أبيه **عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً . فقلت كيف ذاك ؟ قال إذا أحببت كلفت كلف الصبي ، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف .^(٢)

عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ : مَرَّ **عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ** بِرَجُلٍ يَقَعُ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا، لَا تُغْرِقْ فِي شَتْمِنَا وَدَعْ لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا، فَإِنَّا لَا نَحْدُ مُكَافَأَةً مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِمِثْلِ أَنْ أُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ .^(٣)

قال **العلامة السعدي - رَحِمَهُ اللَّهُ** - : الصلح ثقیلٌ على النفوس ! لكن المؤمن يهون عليه الثقل إذا كان يؤمن بأن الصلح خير .^(٤)

(١) رواه الترمذي والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٧) . وثبت عن علي رضي الله عنه موقوفاً وحسنه الألباني . انظر الأدب المفرد رقم (١٣٢١) .

(٢) صححه الألباني . انظر الأدب المفرد رقم (١٣٢٢) .

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٣٠ / ١١) (٨١٠٦) .

(٤) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة (ص : ٣٠) .

إذا كنت في حاجةٍ مرسلًا فأرسل حَكِيمًا، ولا تُوصِه
وإن ناصحٌ منك يومًا دنا فلا تنأ عنه ولا تُقصِه
وإن بابٌ أمرٍ عليك التوى فشاوِرْ لبيبًا ولا تعصِه
وذو الحق لا تنتقص حَقَّه فإن الوثيقة في نصِّه

قال **أبو حاتم بن حبان رَحِمَهُ اللهُ** : والمعاداة بعد الخلَّة فاحشةٌ عظيمة لا تليق بالعاقل ارتكابها ، فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ، ترك للصالح موضعا .

وأُنشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي :

وأحب إذا أحببت حبًّا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت غير مجانبٍ فإنك لا تدري متى أنت راجعُ
وكن معنا للحلم واصفح عن الأذى فإنك لا راءٍ ما عملت وسامعُ

وأُنشدني منصور بن مُحَمَّد الكريزي :

إذا أنت عادت أمراً بعد خُلَّةٍ فدع في غدٍ للعود والصالح موضعا
فإنك إن نابذت من زل زلة ظللت وحيداً لم تجد لك مفرعا^١

(^١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٩٦) .

القاعدة السابعة عشر :

يسر ولا تتعنت في الحلول وشروط الصلح

إذا أردت أن تُطاع فاطلب المستطاع ، حتى يتيسر حل المشاكل وتنتهي الخلافات ، وكن سموحاً في قبول حلول و شروط الآخرين إذا كانت معقولة ومقبولة ، ولا تتعنت في مطالبك وشروطك حتى لا يعجز الطرف الآخر ، فتتوسع المشاكل والخلافات ، وتتعدّد الأمور ويحصل الحرج للآخرين ، والتضييق على المصلحين .

فبعض الناس شديد الخصومة متعنت في شروطه وحلوله ، يسعى إلى التعجيز والإذلال للآخرين ، وهذه من صفات المنافقين ... وهي من الصفات التي يبغضها الله .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَكْذُ الْحَصِمُ » .^(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " .^(٢)

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَمَرْوَانَ ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ ، قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ » فَوَلَّاهُ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ ، فَأَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : حَلِّ

(١) صحيح البخاري (٧٣/٩) (٧١٨٨) . صحيح مسلم (٤/٢٠٥٤) (٢٦٦٨) .

(٢) البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) .

حَلْ فَأَلَحَّتْ ، فَقَالُوا : خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ ، خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقِي ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » ، ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظَّمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » ، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ ، قَالَ : فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا ، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ ، وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ ، فَاَنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصِجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ ، فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّا لَمْ نَحِجْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتُهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَصْرَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْنَاهُمْ مُدَّةً ، وَيُحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرُ : فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا ، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفَتِي ، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " ، فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ ، قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا ، قَالَ : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا ، فَقَالَ سَفَهَاوُهُمْ : لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ ذُوو الرَّاْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى ، قَالَ: أَوَلَسْتُمْ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى ، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ ، فَلَمَّا بَلَحوَا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ ، أَقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ ، قَالُوا: أَتَيْتِهِ ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمَرَ قَوْمِكَ ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى وُجُوهًا ، وَإِنِّي لَا أَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : امْصُصْ

بِظُرِّ اللَّاتِ، أَخْنُ نَفَرٌ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْرِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَا
تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ
الْمِغْفَرُ، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ:
أَخْرَيْدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ
شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيُّ عُدْرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي عُدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحَبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ،
وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَاسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ
مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَ اللَّهُ مَا تَنْحَمُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ
ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ
إِلَيْهِ التَّنَظَّرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ،
وَوَقَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالتَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مِلَكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنْحَمُ نُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ
وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ التَّنَظَّرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبُلُوهَا،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا فَلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ» فَبَعَثَتْ
لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُكَبِّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ
الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدْتُ وَأُشِعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ،
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ،
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ

سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ
فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا
أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتُ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا
إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا
قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ
الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ إِنِّي
لِرَسُولِ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لَا يَسْأَلُونِي
خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى أَنْ
تُحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفَ بِهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً،
وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكُتِبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى
دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُبُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ
مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ
تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَاحِكَ عَلَى
شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاجِرْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيرِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فافْعَلْ»،
قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَرَدُّ إِلَى
الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ:
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»،
قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟
قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتُ نُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ
فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ

بِهِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَسْنَا
 عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ
 لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ ، وَهُوَ نَاصِرُهُ ، فَاسْتَمْسِكْ بِعَزْرِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ،
 قُلْتُ : أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ :
 لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ ، - قَالَ الزُّهْرِيُّ : قَالَ عُمَرُ - : فَعَمِلْتُ لِدَلِّكَ أَعْمَالًا ، قَالَ : فَلَمَّا
 فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « قُومُوا فَاخْرُجُوا ثُمَّ احْلِفُوا » ،
 قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ
 سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أُنْجِبْ ذَلِكَ ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ
 أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً ، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى
 فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا ، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا
 حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمًّا ، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ } حَتَّى بَلَغَ بَعْصِمُ الْكُوفَرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمئِذٍ امْرَأَتَيْنِ ،
 كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ ،
 فَقَالُوا : الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا ، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَزَلُّوا يَأْكُلُونَ
 مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيِّدًا ، فَاسْتَلَّهُ
 الْآخَرَ ، فَقَالَ : أَجَلْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ، ثُمَّ جَرَّبْتُ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ ،
 فَأَمَكْنَهُ مِنْهُ ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ : « لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا » فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قُتِلَ وَاللَّهِ
 صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَدْ وَ اللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ ، قَدْ رَدَدْتَنِي
 إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرٍ حَرْبٍ ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ » فَلَمَّا
 سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرَّدُهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ قَالَ : وَبِنَفْلٍ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ

سَهِيلٌ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنَادِيهِ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ آتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ } حَتَّى بَلَغَ { الْحِمْيَةَ حِمْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ }.

وَكَانَتْ حِمْيَتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُفَرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُفَرُّوا بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ " مَعَرَّةُ الْعُرِّ: الْجَرْبُ، تَزِيلُوا: تَمَيَّزُوا، وَحَمَيْتُ الْقَوْمَ: مَنَعْتُهُمْ حِمَايَةً، وَأَحْمَيْتُ الْحِمَى: جَعَلْتُهُ حِمًى لَا يَدْخُلُ، وَأَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ وَأَحْمَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا أَغْضَبْتَهُ إِحْمَاءً " (١).

فانظر إلى تعنت المشركين في الصلح وفي وضع الشروط وإلى سماحة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، وانظر في صالح من كانت النتائج والعواقب بعد ذلك ؟ .

وقد ذكرت قصة صلح الحديبية كاملة لما فيها من العِصَّة والعبرة والفوائد الكثيرة والمتنوعة في هذا الموضوع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : لم يستوف حقه كريم .

وقال : الناس عند مقابلة الأذى ثلاثة أقسام :

- ظالمٌ يأخذ فوق حقه — ومقتصدٌ يأخذ حقه — ومحسنٌ يعفو ويصفح (٢).
- أخي العزيز: لا تنظر إلى الانتصار في الموقف فقط ، ولكن انظر إلى عواقبه ومآلاته :

بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأي ما هو واقع

" وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَنْظُرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ، فَكَمْ مِنْ مُحَاصِمٍ سَبَّ وَشَتَمَ وَطَلَّقَ، فَلَمَّا أَفَاقَ نَدِمَ " (٣).

(١) البخاري (٢٧٣١) .

(٢) قاعدة في الصبر ص ٩٦/١ .

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢٢٠/١) لابن مفلح .

القاعدة الثامنة عشر :

التحاكم إلى الشرع ، والرضا به

ليس هناك أعدل من الشرع للحكم بين الناس في سائر شؤون حياتهم ، لأن الله هو العالم بمصالح العباد ، وبما يُلصَح أمور العباد في دينهم ودنياهم وبما يحل مشاكلهم وينهي خلافاتهم ، وقد شرع الله لنا ذلك كله ، أما إذا احتكم الناس إلى عقولهم وآرائهم فسيختلفون لاختلاف العقول والآراء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

الشورى. ﴿١٠﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء. ﴿٦٥﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء. ﴿٥٩﴾

- فتحاكم أخي الكريم إلى الشرع لك أو عليك ، فبذلك تسلم وتغنم :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ الأحزاب. ﴿٣٦﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ وَلَنْ يَكُنْ لَهُمُ الْخُصْمَ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَوِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ النور.

واحذر من التحاكم إلى الأعراف والأسلاف والعادات القبلية والقوانين الوضعية المخالفة

لشرع الله ... قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) آل عمران.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١١٤) الأنعام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠) المائدة.

القاعدة التاسعة عشر : التحلل من المظالم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من كانت له مظلمة لأحدٍ من عرضه أو شيءٍ فليتحلله منه اليوم ؛ قبل أن لا يكون ديناراً ولا درهماً ، إن كان له عملٌ صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .^(١)

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « وَإِنْ قَصِيْبًا مِنْ أَرَاكِ » .^(٢)

إذا شعر كلُّ إنسانٍ بالأخطاء التي ارتكبها والمظالم التي وقع فيها ، وسعى إلى أن يتحلل منها ، ويتخلص من الحقوق التي عنده للناس ، لصلحت أحوال الناس وانتهت المشاكل والخلافات التي بينهم ... ولكن للأسف الشديد غَلَبَ على كثيرٍ من الناس التلاعب والتساهل والاحتيال على حقوق الآخرين ، وعدم المبالاة بالتحلل من المظالم ... وهذا هو الذي عقَّد الأمور .

وقد أحسن من قال :

إذا كنت في نعمةٍ فَارْعَهَا ... فإن الذنوب تزيلُ التَّعَمُّ
وخطها بطاعةِ رَبِّ العباد ... فَرُبَّ العبادِ سَرِيعُ النَّقْمِ
وإياك والظلم مهما استطعت ... فظلمُ العبادِ شَدِيدُ الْوَحَمِ
وسافر بقلبك بين الـوَرَى ... لتبصر آثارَ مَنْ قد ظَلَمَ

(١) رواه البخاري رقم (٢٣١٧) .

(له مظلمة) أي قد ظلم أحداً بقول أو فعل . (عرضه) جانبه الذي يصونه ويحامي عنه من نفسه وحسبه . (فليتحلله) يطلب منه العفو والمسامحة أو يؤدي إليه مظلمته . (فحمل عليه) ألقي على الظالم عقوبات وسيئات المظلوم .

(٢) صحيح مسلم (١/١٢٢) .

فتلك مساكنهم بعدهم شهودٌ عليهم ولا تتَّهم
وما كان شيءٌ عليهم أضر من الظلم وهو الذي قد قَصَمَ
فكم تركوا من جنانٍ ومن قصورٍ وأخرى عليهم أظم
صَلُّوا بالجحيم وفات التَّعيم وكان الذي نالهم كالحُلُم

فلا بُد أن يقوم الدعاة والمصلحون ببيان خطر الظلم والمظالم على العبد في الدنيا والآخرة ،
وأن يحثُّوا الناس على التحلل من المظالم قبل أن تنزل عليهم العقوبات في الدنيا والآخرة ! فالיום
أيسر لهم ! واليوم أرخص لهم ! قبل القصاص في الآخرة بالحسنات والسيئات ! فتندم يوم لا ينفع
الندم ، وتتحسر يوم لا تنفع الحسرات ، ويوم لا ينفع المال ولا الأرض ولا الملك ولا الجاه ولا
الكلام ولا الاعتذار ... ولو بذلت ما في الأرض جميعاً ومثله معه ما تُقبَّل منك .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (٤٧) وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ٤٨ ﴾ الزمر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۚ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٥٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ يونس .

القاعدة العشرون : الاعتذار

الاعتذار خلقٌ رفيع يجبر الكسر ويطيّب النفس ، ويدل على التواضع ، وعلى حرص الإنسان على الآخرين ، وحفاظه عليهم ، ومراعاته لمشاعرهم وأحاسيسهم ...

قال **أبو حاتم بن حبان رَحِمَهُ اللهُ** : الاعتذار يذهب الهموم ويجلي الأحزان ويدفع الحقد ويذهب الصدّ ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تحمد إلا نفي العجب عن النفس في الحال ؛ لكان الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة .^(١)

فلاعتذار يدل على :

- الاعتراف بالخطأ . الخوف من الله . التواضع . احترام مشاعر الآخرين . الحرص على بقاء العلاقة . الشجاعة الأدبية . حسن الخلق . محاولة إصلاح ما أفسد ، الرغبة في التحلل من المظالم .
- ترك الاعتذار أشد وقعاً على نفوس الكرام من الخطأ نفسه .
- أشجع الناس الذي يعترف بخطئه ، ويصلح ما حصل منه .
- بعض الناس لا يمكن أن يعتذر مهما حصل منه من أخطاء ومهما كان حجمها وضررها ، وهذا يدل على كبر في النفس ، ويدل على عدم المبالاة بالآخرين .

قال **الشافعي رَحِمَهُ اللهُ** :

قيل لي قد أساء إليك فلان ومقام الفتى على الظلم عار
قلت قد جاءني وأحدث عذراً دية الذنب عندنا الاعتذار

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ١٨٦) .

القاعدة الحادية والعشرون : قبول الاعتذار

من مكارم الأخلاق وجميل الشيم والصفات وتمام المروءة أن الشخص يقبل اعتذار من اعتذر إليه ، ويعفو عنه ، ويطوي صفحة الإساءة بينهما ، وهذا محل كثير من المشاكل وينهي كثيراً من الخلافات، فكن أنت خير الناس ، وأحسن إليهم ، واعف عنهم وتجاوز واصفح واقبل اعتذارهم، وأبدأهم بالخير ، وأد إليهم حقوقهم ، ولا تنتظر الجزاء أو الشكر منهم ، وإنما انتظر الجزاء والثواب من الله تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴿** الأعراف

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« من أقال مسلماً بيعته أقاله الله عثرته يوم القيامة »** . وفي رواية : **« من أقال مسلماً عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة »** (١) .

هَبْنِي أَسَأْتُ كَمَا زَعَمْتَ فَأَيْنَ عَاطِفَةُ الْأَخْوَوةِ
أَوْ إِنِ أَسَأْتُ كَمَا أَسَأْتُ فَأَيْنَ فَضْلُكَ وَالْمَرْوَةِ

وليكن صفحاً جميلاً بلا عتاب ولا تثريب ولا تقريع ولا توبيخ ، **﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصْفَحِ ﴾** **﴿ الْصَّفْحُ الْجَمِيلُ ﴾ (٨٥) ﴿ فالصفح الجميل :** هو الذي لا مؤاخذه فيه ولا عتاب معه .

وكما قال يوسف عليه السلام لإخوته عندما اعتذروا إليه : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ

عَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (١١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٢) ﴿ يوسف .

(١) صححه الألباني وقال : رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له ، والحاكم وقال صحيح على شرطهما . والرواية الأخرى لابن حبان (صحيح) صحيح الترغيب والترهيب (١٧٥٨) .

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : وَأَمَّا قَبُولُكَ مِنَ الْمُعْتَذِرِ مَعَاذِيرَهُ .

فَمَعْنَاهُ : أَنْ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ . ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ مِنْ إِسَاءَتِهِ ، فَإِنَّ التَّوَاضُّعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذِرَتِهِ ، حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلًا . وَتَكِلْ سَرِيرَتَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ فِي الْغَزْوِ ، فَلَمَّا قَدِمَ جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ أَعْذَارَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَعَلَامَةُ الْكَرَمِ وَالتَّوَاضُّعِ : أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْحَلَلَ فِي عُذْرِهِ لَا تُوقِفُهُ عَلَيْهِ وَلَا تُحَاجُّهُ . وَقُلْ : يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ . وَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ ، وَالْمَقْدُورُ لَا مَدْفَعَ لَهُ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .^(١)

قال أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ لا يجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه ، ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقًا في اعتذاره أو كاذبًا ، فإن كان صادقًا فقد استحق العفو ، لأن شر الناس من لم يُقِلَّ العثرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذبًا فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر إثم الكذب وريبته وخضوع الاعتذار وذلتته أن لا يعاقبه على الذنب السالف ، بل يشكر له الإحسان المحدث الذي جاء به في اعتذاره ، وليس يعيب المعتذر إن ذل وخضع في اعتذاره إلى أخيه .^(٢)

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢١) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٨٤) .

القاعدة الثانية والعشرون

استعن بالله ، والجأ إليه

من الأمور العظيمة المعينة على حل المشاكل والخلافات : الاستعانة بالله واللجوء إليه وطلب العون منه ، فنواصي العباد بين يديه ، وقلوبهم بين إصبعيه يقلبها كيف يشاء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي نَزَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

هود . ﴿٥٦﴾

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ سَهْلًا إِذَا شِئْتَ » .^(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » .^(٢)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كُنْتُ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » .^(٣)

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٩٩) (٩٧٠) و ((الصحيحة)) (٢٦٤٣/ ٢) .

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢) (٢٦٦٤) .

(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) (٥٣٠٢) .

القاعدة الأخيرة : كل أمرك إلى الله

إذا كثرت عليك المشاكل واشتدت ، ولم تجد لها حلاً ولا مخرجاً ، ولا ناصراً ولا مشفقاً ، ولا راداً للظلم عنك ! فكل أمرك إلى الله ! وقل حسبي الله ونعم الوكيل ! وارفع قضيتك إلى الله ... فإن الله لن يضيعك ، ولن يخيب رجاءك . **قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٨٩) التوبة.**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣٨) الزمر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِفْئِهِمْ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٤) آل عمران.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٥٩) التوبة.

قلت لمن قال أما تشتكي ما قد جرى فهو عظيم جليل
يُقِيضُ اللهُ تعالى لنا من يأخذ الحق ويشفي الغليل
إذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله ونعم الوكيل

وقل : اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣١) الزمر.

تنبيهات وتوصيات

○ احذر من تحريش شياطين الجن والإنس في منعك من إصلاح العلاقة بينك وبين الناس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِنَّمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) فصلت.

○ قم بجبر الخواطر وتطبيب الخاطر:

الخطأ في حق الآخرين يسبب جروحاً في قلوبهم ونفوسهم ويكسر خاطرهم ، وهذه الجروح تحتاج إلى علاجٍ وتطبيبٍ وتطبيب ؛ حتى تضمحل وتزول وتشفى وتتعافى .

○ كن قدوة حسنة بين الناس :

يحتاج المسلم أن يكون قدوة حسنة في حل المشاكل والتعامل معها وقبول الصلح فيها .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - : (كما أَنَّ المسلمين نقاوةٌ بين الأمم ، كذلك أهل السنة نقاوةٌ بين الفرق) .

○ لا تنس نفسك ومكانك ومكانتك في المجتمع :

كثيرٌ من الناس تسقط مكانتهم واحترامهم عند الآخرين لعدم إحسانهم في التعامل مع المشاكل وفي حال الخلافات ، فاعرف لنفسك قدرها ، وأنزلها منزلتها ، ولا تُسقط مكانتها .

○ لا تخيب ظن الناس فيك :

فكن عند حسن ظن الآخرين فيك ، بل كن خيراً مما يظنون ، وفوق ما يؤملون .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ ؟ » . قَالَ : فَسَكَتُوا فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَقَالَ رَجُلٌ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا . فَقَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ » .^(١)

○ كن متميزاً :

في مواقفك وتصرفاتك فهي محل الاختبار لك ، وفيها تتجلى أخلاقك ، وتظهر ملامح شخصيتك ، ويُعرف صدق تدينك .

○ خذ الأمور ببساطة :

ولا تعقّد الأمور ، وكن سهلاً في تعاملك مع الجميع .

○ لا تهدم العلاقة كلها من أجل خطأ ، ولكن عالج الخطأ وصحح العلاقة وحافظ عليها :

فليس من السهل أن تكسب صداقات الآخرين ، ولكن من السهل خسارتها وفقدانها .

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ فِي « شُعَبِ الْإِيمَانِ » وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّعْلِيقَاتِ الْحَسَنَةِ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ (٢٩/٢) (٥٢٩) وَ ((تَخْرِيجُ الْمَشْكَاةِ)) (٤٩٩٣) .

○ اتهم نفسك بالخطأ :

وذلك حتى تتقبل أنك مخطئ إذا أخطأت ، فبعض الناس يتصور أنه لا يمكن أن يُخطئ أو يقع في الخطأ أو يصدر منه الخطأ ، ولذلك لا يمكن أن يتقبل هذا ، مما يسبب له العناد والإصرار على مواقفه الخاطئة .

لأنك لا تحيط بكل أمر ومن كل الزوايا لست تنظر
لذلك لن ترى إلا اختلافاً على الأحداث والآراء تكثر
تقبل من سواك خلاف رأي لكي تحلو الحياة بنا وتُعمّر

○ اسع في إصلاح ذات بين المسلمين :

فهذا عملٌ صالح تضيفه إلى رصيدك ، وحسنة تقدمها لمجتمعك ، وصدقة تتصدق بها على من حولك .

○ إن لم تكن مصلحاً فأعن المصلحين :

قد لا تكون عندك القدرة أن تكون عنصراً أساسياً في الإصلاح بين الناس ، ولكن ممكن أن تكون عنصراً مساعداً في ذلك ! فلا تحرم نفسك من فعل الخير .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ ﴾

المائدة. ﴿٢﴾

○ كن داعماً لقضايا الإصلاح بين الناس :

فإن لم تستطع ، فلا تكن داعماً للإفساد بينهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٨١] . يونس.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٨٥] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [١٤٢] . الأعراف.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا

أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٧٧] . القصص.

○ المشاكل تجعلك تعرف الناس على حقيقتهم :

تأبى المروءة أن تفارق أهلها إِنَّ المروءةَ في الرجال خصالٌ

وتكشف كثيراً من أفعنتهم ، وتبينُ معادنهم ! فتنبه لذلك كي لا تُصدم ! .

جزى الله الشدائد كل خير وإن كانت تُعَصِّصُني بريقي

وما شكري لها حُبًّا ولكن عرفتُ بها عدوي من صديقي

○ نبيل المكارم يحتاج إلى صبرٍ وعزائم :

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْمَكَارِمَ لَوْ كَانَتْ سَهْلَةً يَسِيرَةً لَسَابَقَكُمُ إِلَيْهَا النَّثَامُ ،

وَلَكِنَّهَا كَرِيمَةٌ مَّرَّةٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَ فَضْلَهَا وَرَجَا ثَوَابَهَا .^(١)

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١١/ ٦٣) (٨١٨٧) .

○ **ابحث عن أسباب المشكلة حتى يتم حلّها وعلاجها من جذورها** فغالب المشاكل لا تولد فجأة بل لها مسببات وعوامل تُدْغِيهَا حتى تقع ، ولهذا فإن من عوامل علاج المشكلة، معرفة جذورها ، ومعالجتها معالجة تامة وليست آنّية ووقتية فقط، وقد يطول العلاج بحسب الإهمال السابق وبحسب العامل المؤثر في المشكلة وقوته ، وكذلك بحسب شخصيات الخلاف .

○ بعض القضايا تحتاج إلى حلولٍ مؤقتةٍ ومتدرجة لصعوبة تقبل الحل الجذري والنهائي فيها دفعةً واحدة .

○ احرص على حل المشاكل وعلاجها في بداياتها قبل أن تتوسع وتتفرع فيصعب حلّها وتَعْظُم تكلفتها وخسارتها .

○ **اعمل على حل المشاكل أوّل بأول** وعدم مراكمتها حتى لا تتشتت وتعجز عن حلها وعلاجها ، وربما تحطّمت بسببها .

○ **لا تجعل المشكلة تأخذ كل وقتك** : واحذر أن تتولد من المشكلة الواحدة مشاكل أخرى لعدم إحسانك لإدارة الأمور ، فلا شك أن المشكلة التي وقعت فيها، كبيرة وعظيمة كما تظن لكن ليست هي كل شيء، فلا تأخذ منك كل شيء، ولا تأخذ جُلّ وقتك وتفكيرك، مما يؤدي بك إلى مشكلة أخرى، وهي تعطيل أعمالٍ أخرى وزيادة القلق والاضطراب، بل أنزل هذه المشكلة منزلتها، وأد أعمالك كما كنت تعمل من قبل ، بل واجعل لك زيادة وقتٍ في الترويح عن النفس ولقاء المعارف والأصدقاء ؛ حتى تعوّض ما فقدته من انشراح وسرور.

○ احذر من الانفجار وعدم السيطرة على نفسك وعلى المشكلة ؛ فربما حطّمت كُلَّ شيءٍ جميلٍ في حياتك .

○ **أهمية معرفة شخصية الطرف الآخر** : بعض المشاكل يوجد فيها طرفٌ آخر أو أطراف أخرى، ولنمثل بالزوج وزوجته أو الابن وأهله، ولمعرفة شخصية الطرف الآخر أهمية

كبيرة في اتخاذ القرار المناسب ، والحل المناسب ، والأسلوب المناسب ، فبعضهم مزاجي الشخصية ، والآخر عطوف وحنون ، وبعضهم يندم ويثوب إلى رشده سريعاً ، والبعض إذا خوف بالله عز وجل يخاف ، وصنفٌ شديد وآخر لين ... وهكذا.

وقد ينطلق الحل من معرفة المدخل الصحيح لشخصيته .

○ **البيئة المحيطة :** لكل مشكلة أو قضية بيئة تنشأ فيها، فلا بد من معرفة هذا الوسط، ومن يؤثر على الطرف الآخر في هذا الوسط، وبالإمكان إرسال رسائل مع الوسيط لمعرفة آلية تفكيره ، وماذا يريد أن يفعل ، وكيف يتصرف ؟ وهكذا ... وبعض الناس لهم أشخاص يعتبرون مرجعاً لهم في كل شيء فيحسن معرفة من يستشير ؟ ولن يرجع ؟ فلربما تم اتخاذ القرار عن طريق من يؤثر عليه من وسطه ، من الأقارب أو الأصدقاء أو المعارف أو غيرهم .

فهناك لكل شخص مفتاح من الناس ، فلا بد من معرفة المفتاح الصحيح للشخص ؛ حتى يتم فتح الباب لحل القضية .

○ **الاطلاع على أحوال الناس وحلولهم للقضية :**

في بعض المجالس، يستطيع الإنسان أن يثير قضية مشابهة لقضيته، فيدع الحضور يتحدثون فيها ويلقون بالآراء والحلول المناسبة لها ، وأنت تستمع إلى الحلول وتختار أجودها، ولسوف ترى كيف هي أحوال الناس وكيف مرت بهم الأزمات ؟ بل وقد تكون أشد من أزمته .. وفي حديث الناس تسلية لقلبك ، وأنت لست في المشاكل لوحده ولا بمفردك .

○ **التزم الحوار الهادئ المثمر في جميع نقاشتك حتى تنجح في حل المشاكل دون أن تجرح .**

○ **من أسباب المشاكل والخلافات الطمع والأنانية فاجتهد أن تتخلص منهما وتبتعد عنهما.**

○ **التسلط بجميع أنواعه وصوره** يتسبب في كثيرٍ من الخلافات والمشاكل ، سواءً كان تسلُّطاً فردياً أو جماعياً ، حسياً أو معنوياً ، في الأمور الدينية أو الدنيوية .

○ **حظوظ النفس** لها دورٌ كبيرٌ في افتعال المشاكل والخلافات والاستمرار فيها وتوسُّعها ، مهما حاول الشخص التَّستر بغيرها وإظهار البراءة منها .

○ **إذا قام كلُّ فردٍ بعمله بإتقان** ، وأدَّى الواجب الذي عليه بإخلاص ؛ ستحلُّ وتنتهي الكثيرُ والكثيرُ من مشاكل الحياة .

○ **إذا قامت الجهات المسؤولة** في الدول بواجبها تجاه رعاياها ، كلُّ في مكانه وفي محل عمله وعلى حسب تخصصه ... ستحلُّ وتنتهي الكثيرُ والكثيرُ من مشاكل الحياة .

○ وجود المصلحين صمام أمانٍ للمجتمعات ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١٣٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿ ١٣٧ ﴾ هود.

○ في باطن بعض العداوات والأذى الحاصلة من الناس تكمنُ الكثيرُ من الحكم والفوائد

والمنافع قَالَ تَعَالَى: ﴿ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٦) البقرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ... فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١٩) النساء.

○ **الوقت والزمن** : الوقت جزءٌ من العلاج وعاملٌ مؤثِّرٌ في حياة الفرد ، بل قد يكون لوحده

علاجاً كافياً لكثير من المشاكل والجراحات ، فعامل الوقت والزمن مهمٌ جدًّا في التغيير ، فتمر الأيام وتجري الليالي وتتسارع السنون والأعوام ، تندمل الجروح ، فيُشفى المريض ، ويُنسى الميت ، وتتزوج المطلقة ، ويكبر الصغير ، ويعقل الطائش ، ويتوب العاصي ،

ويبر العاق ، ويتزوج العازب، ويتعلم الجاهل ، ويموت الكبير ، وتسلي الأم عن فقد أولادها ، وتنسى الناس أحقادها ، وتذهب الأيام بذكرياتها ، وتمر رياح التغيير على الجميع ... والله المستعان .

فدع الأيام تمر بمن فيها وما فيها ، وامح الماضي السيئ ! لعل ذاك الماضي قد تغير ، فذاك الماضي لا يُذكر ، واكسب عملاً صالحاً ، يقربك إلى الله زلفى ، فإن الأيام تأخذ دورتها ، والأنفاس إلى أجلها وتنتهي وتتلاشى ، ثم يأتي هادم اللذات ليقبض قلباً حمل همّاً وأثقل غمّاً ، وعقلاً تعب تفكيراً واشتدَّ كرباً ، وروحاً أنهكت عملاً وأرهقت شُغلاً ، ثم الجزاء والحساب في يوم الحساب ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

عسى ما ترى ألا يدوم وإن ترى		له فرجاً مما ألحَّ به الدهرُ
عسى فرجٌ يأتي به الله إنه		له كلُّ يومٍ في خليقته أمـرُ
إذا لاح عسرٌ فارتج اليسرُ إنه		قضى الله أن العسر يتبعه اليسرُ

إصلاح ذات البين

قد يحصل بين أفراد المجتمع الواحد ما يُعكّر صفو حياتهم وأخوتهم ويزرع الشقاق والنزاع بينهم، وعند ذلك يأتي دور المصلحين للمّ الشمل ورأب الصدع وتصفية النفوس .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره : (١ / ٢٠٢) :

{ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين ، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره ، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض ، بل وفي الأديان كما قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } وقال تعالى : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَاتِلُوا آلِيَّ تَبَغْيٍ حَتَّىٰ تَفِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ } الآية .

وقال تعالى : { وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة ، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله .

كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ } . فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير ، كما دل على ذلك الاستثناء .

ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص ، ولهذا قال : { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير ، ليحصل له بذلك الأجر العظيم ، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين ، وليتم له الأجر ، سواء تم مقصوده أم لا لأن النية حصلت واقرن بها ما يمكن من العمل . اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿٣٢٤﴾﴾ البقرة

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ الأنفال

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: (١ / ٣١٥): { وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتوادد والتحاب والتواصل ... فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم، والتشاجر والتنازع.

ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير. والأمر الجامع لذلك كله قوله: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله. كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ).^(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " مَا عَمِلَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخُلُقٍ جَائِزٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ " .^(٢)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيَعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا،

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّعْلِيقَاتِ الْحَسَنَةِ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ (٥٠٧٠).

(٢) رَوَاهُ الْأَصْبَهَانِيُّ. وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٧١/٣) (٢٨١٦).

أَوْ يَرْفَعْ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ " .^(١) (يعدل بين الاثنين) أي : يصلح بينهما بالعدل .

وعن **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ " .^(٢)

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ : " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ ؟ " . قال : بلى . قال : " صَلِّ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا ، وَقَرِّبْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا " .^(٣)

وغيرها الكثير من الأدلة الشرعية في بيان فضل القيام بإصلاح ذات بين المسلمين ، فهو من الأعمال الجليلة .

ويحتاج المصلحون أن يتحلَّوا بالعقل والحكمة عند تدخلهم في حل المشاكل والخلافات ، وأن يستفيدوا من كل ما سطر في هذا الكتاب ، وأن يتحرَّوا الحكم الشرعي في القضايا ، ويرجعوا إلى أهل العلم في الأمور التي لا يعرفونها ولا يحسنونها قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ النحل .

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩) . ومسلم (٧٢٠) . (على كل سلامي) قال النووي أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله .

(٢) صححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨١٧) وقال رواه الطبراني والبخاري ، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وحديثه هذا حسن لحديث أبي الدرداء المتقدم .

(٣) رواه البزار وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨١٨) . وجاء عند الطبراني بلفظ " يا أبا أيوب : ألا أدلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاعَضُوا وَتَفَاسَدُوا " .

حسن الخلق

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

حسن الخلق فضله عظيم ومنزلته عالية ومكانته رفيعة وأجره كبير لذلك **كان النبي صلى الله عليه وسلم** يدعو فيقول : « **وَاهِدْنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ** »^(١).

وأوصى صلى الله عليه وسلم أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له : « **اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ** »^(٢).

ولما سُئِلَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلُقِ النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان خلقه القرآن^(٣).
أي : أنه كان عاملاً بما فيه ، متخلِّقاً بأخلاقه .

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ما من شيءٍ يُوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة الصوم والصلاة** »^(٤).
وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذي يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إليَّ المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبراء العيب** »^(٥).

وقال صلى الله عليه وسلم : « **أَنَا زَعِيمٌ ... بَيِّتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ** »^(٦).

وقال صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ مُحْسِنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ** »^(٧).

(١) رواه مسلم ، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٠١) .

(٢) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهِ (١٩٨٧) ، و « المشكاة » (٥٠٨٣) .

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٧٣) .

(٤) رواه أبو داود (٤٧٩٩) ، والترمذي (٢٠٠٣) ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٥) رواه الطبراني ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لغيره ، « صحيح الترغيب » (٢٦٥٨) .

(٦) رواه أبو داود برقم (٤٨٠٠) ، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (٢٧٣) .

(٧) رواه أبو داود برقم (٤٧٩٨) ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ « المشكاة » (٥٠٨٢) .

كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي إِلَّا الثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بَاقٍ
وَلَوْ أَنِّي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : حسن الخلق ألا تغضب ولا تحقد .

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس .

وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ : ألا أخبركم بأدوأ الداء ؟ قالوا : بلى ، قال : الخلق الديني واللسان البذي .

وقال بعضهم : من ساء خلقه ، ضاق رزقه .

أيها الطالب فخرًا بالنسب	إنما الدين لا لأم ولأب
هل تراهم خلُقوا من فضة	أو حديدٍ أو نحاسٍ أو ذهب
أو ترى فضلهم في خلقهم	هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعصب
إنما الفضل مجلٍ راجح	وبأخلاقٍ كـرامٍ وأدب
ذاك من فاخر في الناس به	فاق من فاخر منهم وغلب

أخي في الله ، إذا أردت أن تعرف قيمة الأخلاق وأثرها فانظر إلى أثرها عليك عندما يعاملك بها الغير ، وانظر إلى الناس عندما يعاملهم بها غيرك .

قال بعضهم : الحسنُ الخُلُق من نفسه في راحة ، والناس منه في سلامة ، والسيئُ الخُلُق الناس منه في بلاء ، وهو من نفسه في عناء .

خالق الناس بخلقٍ حسنٍ لا تكن كلبًا على الناس يهر
والفهم منك يبشر ثم صن عنهم عرضك عن كل قدر

عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ : قَالَ كِسْرَى لَوَازِيرِهِ : مَا الْكَرَمُ ؟ قَالَ : التَّعَافُلُ عَنِ الزَّلَلِ ، قَالَ : فَمَا اللُّؤْمُ ؟ قَالَ : الإِسْتِفْصَاءُ عَلَى الضَّعِيفِ ، وَالتَّجَاوُزُ عَنِ الشَّدِيدِ ، قَالَ : فَمَا الْحَيَاءُ ؟ قَالَ : الْكُفُّ عَنِ الْجَفَاءِ ، قَالَ : فَمَا اللَّذَّةُ ؟ قَالَ : الْمُوَافَقَةُ ، قَالَ : فَمَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ : سُوءُ الظَّنِّ .^(١)

قال أَبُو حاتم بن حبان رَحِمَهُ اللهُ : حسن الخلق بذر اكتساب المحبة ، كما أن سوء الخلق بذر استجلاب البغضة ، ومن حسن خلقه صان عرضه ، ومن ساء خلقه هتك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو.^(٢)

للخير أهل لا تزل وجوهم تدعو إليه
طوبى لمن جرت الأمور الصالحات على يديه
مالم يضق خلق الفتى فالأرض واسعة عليه

○ صار عند كثيرٍ من المسلمين أزمة أخلاق وتعامل ، وهذا هو الذي أتعبنا في حياتنا ، ومزَّق مجتمعاتنا ، ووسع المشاكل بيننا ، وأوجد الخلافات في أوساطنا ، وأضعف أمتنا .

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى ممّا
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولا بُدَّ من العتب فبالحسن
لقد قيل لنا عنكم كما قيل لكم عنّا

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٥٣/١١) (٨١٦٢) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٦٥) .

نشر الرحمة والمحبة والألفة بين أفراد المجتمع

في ظل وجود الرحمة والألفة والمودة بين أفراد المجتمع تسهل مهمة صلاح وإصلاح المجتمعات ، وإصلاح ذات بين المسلمين ، ففي ظل وجود هذا الشعور الفياض يكون الإنسان مستعداً أن يتقبل ! وأن يتعاون ! بل ويتنازل عن حقه ! وهذا مما يسهل عملية الإصلاح والتفاهم ...

والله عزَّ وجلَّ هو أرحم الراحمين : ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقد كتب الرحمة على نفسه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وأُنزل علينا القرآن رحمة : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ ٥٧ ﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨].

وأرسل لنا رسوله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ورحمته واسعة : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وهو يهبها لمن يشاء : ﴿ يَخْضُصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٧٤].

جعلني الله وإياك منهم .

والرحمة أنزلها الله بين عباده ؛ ليتراحموا بها فيما بينهم ، ولو لا هذه الرحمة لأكل بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ، وانظر إلى من فقد الرحمة ، وتجرد منها ! كيف يصير وحشاً كاسراً على الناس . لذلك حثَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها فقال : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ ، يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ »^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُوقِّرَ كَبِيرَنَا »^(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ »^(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَا يَرْحَمْ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ »^(٤).

^(١) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) ، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٩٢٢) .

^(٢) رواه الترمذي برقم (١٩١٩) ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢١٩٦) .

^(٣) رواه البخاري برقم (٦٠١٣) ، ومسلم برقم (٦٠٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

^(٤) رواه البخاري برقم (٧٣٧٦) ، ومسلم برقم (٦٠٣٠) عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « لَا تُنَزَّعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ »^(١).

فلا بدَّ من التلاحم والتراحم بين المؤمنين .

يقول عليه الصلاة والسلام : « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى »^(٢).

هكذا لا بد أن يكون المجتمع المسلم مجتمعاً متلاحماً متراحماً مترابطاً ، يحرص بعضهم على بعض ، ويجب بعضهم بعضاً ، ويأخذ بعضهم بيد بعض ، وأرحم الناس بالخلق هم أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أهل السنة هم أعلم بالحق ، وأرحم بالخلق^(٣).

○ ولما أرسل الله ملك الجبال ليعذب أهل مكة بسبب أذيتهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال عليه الصلاة والسلام : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »^(٤).

هكذا فلنكن ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

^(١) رواه الترمذي برقم (١٩٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٤٩٦٨).

^(٢) رواه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٦٥٨٦) ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

^(٣) «منهاج السنة النبوية» (١٥٨ / ٥).

^(٤) رواه البخاري برقم (٣٢٣١) ، ومسلم برقم (١٧٩٥) ، عن عائشة رضي الله عنها.

من هو العاقل حقاً

قال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللهُ : ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر ، ولكن العاقل الذي إذا رأى الخير اتبعه وإذا رأى الشر اجتنبه .^(١)

وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللهُ قال زياد : ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه ، ولكن العاقل الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه .^(٢)

وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللهُ قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكن العاقل الذي يعرف خير الشرين .^(٣)

وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَيَخْتَارُ الْخَيْرَ ، إِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ الشَّرِّينِ فَيَخْتَارُ أَيْسَرَهُمَا .^(٤)
وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ وَسَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ رِيَاضَةُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ مِنْ رِيَاضَةِ الدَّوَابِّ .^(٥)

ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ : ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، ولكن العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين .^(٦)

(١) المفصل في الرد على الحضارة الغربية (١/ ٧٩) .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ١٩١) .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ١٨٦) .

(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص : ٩٩) .

(٥) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص : ٩٩) .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/ ٥٤٩ . دار الإفتاء - السعودية .

■ والعقل من حيث الاستفادة منه نوعان :

١- عقل إدراك :

وهو العقل الذي عند كل أحد ما لم يكن مسلوباً بجنون ، أو قاصراً لصغر السن ، وهو الذي يميز به الناس بين الأشياء في الكثرة والقلة والأعداد ، والأحجام ، ونحو ذلك . وهذا عند المسلم والكافر وليس له علاقة بالديانة .

٢- عقل رشد :

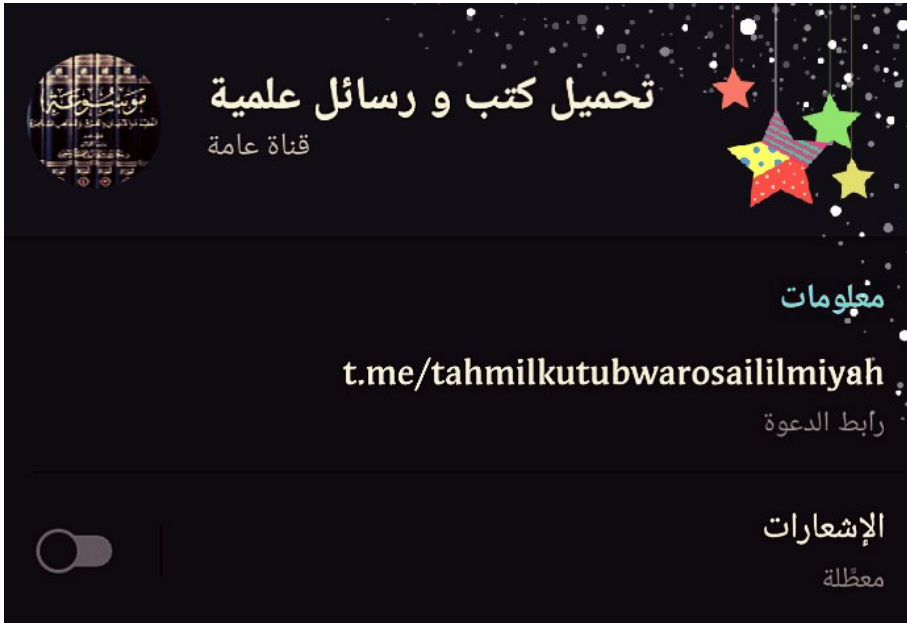
وهو الذي يعلم به صاحبه فيعمل ، وهو العقل الصحيح الذي يقبل الحق إذا علمه ، ويبعد عن الشر إذا عرفه ، فالذي يعلم الحق ولا يعمل به ليس لديه عقل رشد ، وإنما لديه عقل إدراك ، حيث أدرك به العلم ، ولم يسترشد بذلك ويرشد ، قال **ابن تيمية** رحمه الله : فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به ، والعمل بالعلم ، ولهذا قال أهل النار : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) وأيضاً قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦) . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٣٨) .

فهؤلاء الكفار لديهم عقل إدراك الذي هو مناط التكليف ، ولكنهم فقدوا عقل الرشد بسبب عدم اتباعهم الحق بعد أن تبين لهم .^(١)

(١) الفتاوى ٢٨٦/٩ .

والعقل عقلان : عقل غريزي وهو أبو العلم ومربيه وثمرته ، **وعقل مكتسب** مستفاد ، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته ، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، واستقام له أمره ، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب ، وإذا فقدهما فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه ، وإذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما .

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشّر بقبول الله في آياته إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف



○ وأخيرًا :

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٤)

﴿الأنعام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦) ﴿الحج .

ليس العمى ألا تَرى ... بل العمى ألا تُرى ... مميّزًا بين الصواب والخطأ

أربعَة أعمال ذكرت في القرآن ووصفت بالجميل

- الصفح الجميل : وهو الذي لا مؤاخذة فيه ولا عتاب معه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) الحجر

- الصبر الجميل : وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى معه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨) يوسف .

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥) المعارج .

قلت لمن قال أما تشتهي	ما قد جرى فهو عظيم جليل
يُقَيِّضُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا	من يأخذ الحق ويشفي الغليل
إذا توكلنا عليه كفى	فحسبنا الله ونعم الوكيل

- الهجر الجميل : وهو الذي لا تجاوز فيه ولا أذية معه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) المزمل .

فإما أن تكون أخي بحق	فأعرف منك غثي من سميني
والأ فاطر حني واتخذني	عدوًّا أتقيك وتقييني

فعدو عاقلٌ شريف ، خيرٌ من صديقٍ ماذقٍ متلون .

أحذر مودة ماذقٍ	خلط المرارة بالحلاوة
يحصي الذنوب عليك	أيام الصداقة للعداوة

- السراح الجميل : وهو الطلاق الذي لا ضرر فيه ولا إضرار معه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَى أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) الأحزاب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٩) الأحزاب .

قال القشيري : (سراحاً جميلاً) لا تذكرهن بعد الفراق إلا بخير، ولا تستردوا منهن شيئاً، ولا تجمعوا عليهن سوء الحال والإضرار من جهة المال . اهـ.^(١)

كن بلسماً فالجارحون كثير ومواسياً إن الزمان مريئ

وزد عليها :

- المعروف الجميل : وهو الذي لا من فيه ولا أذى معه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٣١) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿البقرة : ٢٦٣ - ٢٦٤﴾

فالله جميل يحب الجمال^(٢) : جمال الظاهر ، وجمال الباطن ، وجمال الأخلاق والمعاملة .

— كن جميلاً ترى الوجود جميلاً —

أخي العزيز : هذه من أخلاق الكبار ... فكن منهم ، وتشبه بهم ، ولا تتخلف عنهم .

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٤٤٦) .

(٢) صحيح مسلم (٩٣/ ١) - ١٤٧ - (٩١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ » .

من حِكْمِ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : وَضَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّاسِ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ كَلِمَةً كُلُّهَا حِكْمٌ ، قَالَ : مَا كَافَأَتْ مَنْ يَعِصِي اللَّهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ ، وَضَعَ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ ، وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَحِدُّ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يُلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ ، وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ فِي يَدَيْهِ ، وَعَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدَقِ فَعَشَ فِي أَكْنَافِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّحَاءِ ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ ، وَعَلَيْكَ بِالصَّدَقِ وَإِنْ قَتَلَكَ الصَّدُوقُ ، وَلَا تَعْرِضْ لِمَا لَا يَعْنيكَ ، وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ فَإِنَّ فِيمَا كَانَ شُغْلًا عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، وَلَا تَظْلُبَنَّ حَاجَتَكَ إِلَى مَنْ لَا يُحِبُّ لَكَ نَجَاحَهَا ، وَلَا تَصْحَبَنَّ الْفَاجِرَ فَتَتَعَلَّمَ فُجُورَهُ ، وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ ، وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ ، وَتَخَشَّعَ عِنْدَ الْقَوْلِ ، وَذَلَّ عِنْدَ الطَّاعَةِ ، وَاعْتَصَمَ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ ، وَاسْتَشَرَ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ^(١).

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٨٩) .

قال^(١) **أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَانَ** رَحِمَهُ اللَّهُ : رَأَيْتُ عَلَى حَجَرٍ بِطَبْرِسْتَانَ مَكْتُوبٌ :

العِيشُ لَوْنَانِ فَحَلَوْهُ وَمُـرٌ والدَهِرُ نَصْفَانِ فَرِيفٌ وَضُرٌ
والنَطَقُ جَزَانٌ فَبَعَرُوهُ وَدُرٌ والنَّاسُ اثْنَانِ فَنَذَلُّهُ وَحُرٌ
يَوْمُكَ يَوْمَانِ فَخَيْرٌ وَشَرٌ نَهَارٌ يَزُولُ وَلَيْلٌ يَكُـرُ
كَذَاكَ الزَّمَانُ عَلَى مَنْ مَضَى وَكُلُّ السَّنِينِ عَلَى ذَا تَمُرٍ

تَشْجَمُكَ اللَّهُ

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص : ٢٧٩) .

فهرس المحتويات

٣	مقدمة.....
٧	أهم القضايا.....
٧	التي تشغل حياة المخلوقات.....
٩	وقفه.....
٩	يبين تدفق المشاعر وجفافها.....
٩	وبين مراعاة المشاعر وجرحها.....
٣١	تمهيد.....
٣٥	قواعد في فن التعامل.....
٣٥	لدفع المشاكل والخلافات قبل وقوعها.....
٣٦	القاعدة الأولى :.....
٣٦	احترم الآخرين ولا تجرح مشاعرهم.....
٣٨	القاعدة الثانية :.....
٣٨	لا تحقرن أحداً مهما كان ! ومهما كنت !.....
٤٠	القاعدة الثالثة :.....
٤٠	لا تؤذ أحداً.....
٤٣	القاعدة الرابعة :.....
٤٣	لا تظلم أحداً ولا تتعدى على حقوق الآخرين.....
٤٤	القاعدة الخامسة :.....
٤٤	ضع نفسك مكانه.....
٤٤	أو (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك).....
٥٣	القاعدة السابعة :.....
٥٣	مراعاة ظروف الناس وحالتهم الصحية والنفسية.....
٥٤	القاعدة الثامنة :.....
٥٤	لا تفرغ غضبك وهمك على الآخرين.....
٥٥	القاعدة التاسعة :.....
٥٥	نافس ولا تحسد.....
٦٢	القاعدة العاشرة :.....
٦٢	اترك المعاصي.....
٦٣	القاعدة الحادية عشر :.....

٦٣	 حَكِّمِ الشَّرْعَ تَسْلَمُ وَتَغْنَمُ
٦٤	 القاعدة الثانية عشر :
٦٤	 المراعاة في الاتصالات وفي وسائل التواصل
٦٥	 القاعدة الثالثة عشر :
٦٥	 تبسم دائمًا
٦٦	 القاعدة الرابعة عشر :
٦٦	 احرص على الكلمة الطيبة
٦٧	 القاعدة الخامسة عشر :
٦٧	 خذ الحق الذي لك وأدِّ الحق الذي عليك
٦٩	 القاعدة السابعة عشر :
٦٩	 إياك إياك من تحريش إبليس وأعوانه
٧٤	 القاعدة الثامنة عشر :
٧٤	 اجتنب الغيبة فهي مفتاح النميمة
٧٥	 القاعدة التاسعة عشر :
٧٥	 اجتنب سوء الظن وما يتبعه من التجسس والتحسس
٨١	 القاعدة الحادية والعشرون :
٨١	 اترك الاعتداد بالنفس والإعجاب بالرأي واتباع الهوى
٨٢	 القاعدة الثانية والعشرون :
٨٢	 أقلل من الكلام واترك المراء والجدل العقيم ...
٨٢	 فإن الحرب مبدؤها كلام
٨٥	 القاعدة الثالثة والعشرون :
٨٥	 اجتنب كثرة المزاح
٩٠	 القاعدة الرابعة والعشرون :
٩٠	 وضع الأمور في نصابها
٩١	 القاعدة الخامسة والعشرون :
٩١	 اعدل بين أولادك
٩٣	 القاعدة السادسة والعشرون :
٩٣	 تصفية القلوب وتطهيرها
٩٤	 القاعدة السابعة والعشرون :
٩٤	 احذر من التدخلات الخارجية
٩٦	 القاعدة الثامنة والعشرون :

٩٦	لا تعمل ما تندم عليه
٩٧	القاعدة التاسعة والعشرون :
٩٧	استعمل المداراة مع الناس
١٠١	القاعدة الثلاثون :
١٠١	الصدق والصراحة والوضوح في العلاقات والمواقف
١٠٣	القاعدة الحادية والثلاثون :
١٠٣	أخرجهم من دائرة اهتماماتك
١٠٥	القاعدة الثانية والثلاثون :
١٠٥	ابتعد عنهم ! تسلم وتغنم
١٠٧	القاعدة الأخيرة :
١٠٧	لا تتساهل في كسب العداوات
١١٣	قواعد في فن التعامل
١١٥	قواعد في فن التعامل
١١٦	القاعدة الأولى :
١١٦	لا تغضب
١٢٧	القاعدة الثانية :
١٢٧	لا تنسوا الفضل بينكم
١٣١	القاعدة الثالثة :
١٣١	التمس الأعذار للناس
١٣٣	القاعدة الرابعة :
١٣٣	عامل الناس بالظاهر ، ولا تدخل في النوايا
١٣٥	القاعدة الخامسة :
١٣٥	التثبت من الأخبار وعدم العجلة
١٤٠	القاعدة السادسة :
١٤٠	عالج المشاكل ولا توسعها
١٤٠	وأسرع بحلها ولا تهملها
١٤١	القاعدة السابعة :
١٤١	قف عند محل الخلاف ولا تُقَلِّب الماضي
١٤٢	القاعدة الثامنة :
١٤٢	نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم
١٤٣	القاعدة التاسعة :

١٤٣	ادفع بالتى هي أحسن
١٤٥	القاعدة العاشرة :
١٤٥	عليك بالرفق ! تُؤفَّق
١٤٧	القاعدة الحادية عشر :
١٤٧	العدل مطلوب من الجميع ومع الجميع
١٥٢	القاعدة الثالثة عشر :
١٥٢	التغافل عن إساءة الناس إليك ، والتجاوز عنهم
١٥٣	القاعدة الرابعة عشر :
١٥٣	التواضع للحق وقبوله
١٥٤	القاعدة الخامسة عشر :
١٥٤	عدم الإصرار على الخطأ
١٥٦	القاعدة السادسة عشر :
١٥٦	اجعل للصلح موضعاً
١٥٦	ولا تندفع في العداوة ، وافتح المجال للمصلحين
١٥٨	القاعدة السابعة عشر :
١٥٨	يسر ولا تتعنت في الحلول وشروط الصلح
١٦٤	القاعدة الثامنة عشر :
١٦٤	التحاكم إلى الشرع ، والرضا به
١٦٦	القاعدة التاسعة عشر :
١٦٦	التحلل من المظالم
١٦٨	القاعدة العشرون :
١٦٨	الاعتذار
١٦٩	القاعدة الحادية والعشرون :
١٦٩	قبول الاعتذار
١٧١	القاعدة الثانية والعشرون
١٧١	استعن بالله ، والجاإ إليه
١٧٢	القاعدة الأخيرة :
١٧٢	كل أمرك إلى الله
١٧٣	تنبيهات وتوصيات
١٨١	إصلاح ذات البين
١٨٤	حسن الخلق

- ١٨٧ نشر الرحمة والمحبة والألفة بين أفراد المجتمع
- ١٨٩ من هو العاقل حقاً
- ١٩٣ أربعة أعمال
- ١٩٣ ذكرت في القرآن ووصفت بالجميل
- ١٩٥ من جگم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة

☐

الإشعارات

معطلة